مفهوم الإرادة عند شخصيات شكسبير التراجيدية

م.د. محمد فضيل شناوة

الفصل الأول

الإطار المنهجي

مشكلة البحث :-

تناسل مفاهيم الشخصية وتتلاقح وتتطور بفعل إدخال بنى جديدة ومفاهيم ومدركات متدارجة وتعديلات متلاحقة . ونتيجة للدينامية الفاعلة التي تتمع بها الشخصية ، لحملها منظومة معقدة من الآليات السلوكية وما يحركها من دوافع ومثيرات وبواعث لرغبات وغايات وأهداف ونزعات ظاهرة أم مخفية ، فضلاً عن التنظيم البايولوجي والسايكولوجي الذي يتداخل ويتعالق لخلق الشخصية بسلوكياتها المختلفة وتصرفاتها المتمايزة والمتكاملة ، بالإضافة إلى الطروحات الفلسفية والتنظيرية التي ركزت معتقدها وقعدته ، بوصف الإنسان فيلسوف بطباعه . لذلك اكتنزت في ذاتية الشخصية عديدة من المفاهيم والمواضيع والتي هي انعكاس لأنشطتها وصيرورتها ، ليتمظهر السلوك الآني أو ألبعدي قبالة المواقف الحياتية بتمفصلاتها كافة ، لتحدد ترسيمات الشخصية وحدودها وأنماطها وطرائق عواملها ، وصولاً إلى تحديد مفهوم شامل ومتكامل لها ، ومن ثم فرديتها بسلوكياتها وتصرفاتها ، وفقاً لمرجعياتها الفلسفية والنفسية ، لتؤثر وتتأثر بمحيطها الاجتماعي والثقافي أو البيئي ، أو تنسف هذه البنى لتنطلق في مسبار غير طبيعي غير معقلن بعيداً عن طبيعة الشخصية السوية .

ترتكز الإرادة كأحد المفاهيم الفلسفية والنفسية في محمولات منظومة فعاليات الشخصية الانوية ، وتقف موقفاً فاعلاً في تسيير سلوكياتها وتصرفاتها وتوجهها ، وتنشط في آليات القيادة في حال حضورها وتموضعها وتمركزها ضمن اولويات الشخصية لتقفز حاجز توجيهات العقل وإنتاجياته ، فضلا عن تموضعها في قمة الهرم الخاص بالرغبات والميول والانفعالات بقوتها الذاتية في حرية الاختيار ، لتتطبع الشخصية بها وبحيثياتها كافة.

تتمظهرالإرادة وتتموضع لحظة القفز لكل عقباتها ونسف مصداتها وتجاوزمعرقلاتها ، لتتمسك وبقوة بالأفكار والتوجهات والأهداف التي تؤمن بها والتي تريد تحقيقها . سواء كان الفعل الإرادي الصادر عنها مسوغاً عقلياً ومدركاً أو متجاهلاً توجيهات العقل له . وغالباً ما ينفلت الفعل اللاداري من مسوغات الأسباب العقلية الواعية ليندرج ضمن الدوافع غير الواعية وتحيل إرادة الإنسان مفكراً مشغولاً بالهدف والمبادرة والقرار لتحقيقه .

تحمل عديد من الشخصيات المسرحية الإرادة وفعلها بشقيها العقلاني واللاعقلاني ، وتحمل الإرادة الحرة والمقيدة ، بغية تحقيق أهدافها المعلنة وغير المعلنة ، المشروعة وغير المشروعة ، المقبولة وغير المقبولة ، أو لتحقيق جوهر الشخصية الأصيل وفكرتها التي جبلت عليه ، والتي تتوافق مع مجموع خبراتها وطاقاتها المخزونة ومعارفها وقابلياتها وامكانياتها ، والتي تريد فك ربقة قيدها والانطلاق نحو تحقيق الرغبات وإشباع الحاجات وإيقاف فورة الانفعالات وكبح حرية اختيارها وفعل إرادتها المتوالد ، سواء كان هذا التحقيق سلباً أم إيجابا

وبناءاً على ما تقدم يحدد الباحث مشكلة بحثه بالاستفهام الآتي :-

ما نوع الإرادة وماهيتها عند شخصيات (شكسبير) التراجيدية ؟ وفعلها في نفسيتها وسلوكياتها ومصيرها.

أهمية البحث والحاجة إليه :-

أهتم البحث بدراسة فلسفية ونفسية وفنية لموضوع الإرادة عند شخصيات (شكسبير) التراجيدية وفعلها في نفسيتها وسلوكياتها ومصيرها ، وتكمن أهمية البحث في تقديمه موضوع الإرادة فلسفياً ونفسياً وفعلها المنعكس عند شخصيات (شكسبير) التراجيدية ، كسلوك آني أو بعدي ، نتيجة دوافع ومثيرات وبواعث، بغية تحقيق الرغبات والميول والأهداف. ويفيد البحث الدارسين والباحثين في مجال الأدب المسرحي ونقده ، وفي مجال علم النفس المسرحي، من حيث إطلاعهم مفهوم الإرادة وفعلها المنعكس عند شخصيات (شكسبير)التراجيدية على الصعيد النفسي والسلوكي.

أهداف البحث:- يهدف البحث تعرف الآتي:-

١- نوع الإرادة وماهيتها عند شخصيات (شكسبير) التراجيدية.
٢- انعكاس فعل الإرادة في نفسيات وسلوكيات شخصيات (شكسبير) التراجيدية وعلى مصيرها.

حدود البحث:- يتحدد البحث الحالي:-
١- مكانياً :- انكلترا
٢- زمنياً :- ١٦٠١ - ١٦٠٦
٣- موضوعياً: دراسة مفهوم الإرادة فلسفيا ونفسياً، وأنواع الإرادة ، وماهيتها عند شخصيات (شكسبير) التراجيدية (هملت ، عطيل ، لير ، مكبث) وفعلها المنعكس في نفسيتها وسلوكياتها ومصيرها.

تحديد المصطلحات:- الإرادة

إراد الشيء: أحبه وعُني به، والأسم الريدُ ... يقال أراد يريد إرادة، والريدة الاسم من الإرادة... . والإرادة المشيئة، وأصله الواو، كقولك راوده أي أراده على أن يفعل كذا. (١، ص٢٩٧).

التعريف الإجرائي:- الإرادة

فعالية شخصية ذاتية نفسية لتحقيق هدف أو رغبة أو غاية تتعارض مع نزعات أخرى وتتصادم ،تتطلب تصميماً وتنفيذاً وإنجازا، نتيجة دوافع ومثيرات وبواعث، سواء كانت متوجهة بالملكة العقلية (واعية) أو عدمها (غير واعيه) ، مقيدة ومنضبطة أو حرة وغير منضبطة، لتحقيق الاشتياق والنفع والقصد.

الفصل الثاني
الإطار النظري

المبحث الأول: الإرادة .. المفهوم والمصطلح

تعددت الآراء واختلفت وجهات النظر وتباينت البحوث الفلسفية والنفسية بشأن الإرادة، ذلك باختلاف الدراسة وتصنيف حقولها وجوهر كينونتها وماهيتها، إذ درست الإرادة ميتافيزيقياً ونفسياً وأخلاقياً ولاهوتياً وفسيولوجياً وسيسويولوجياً. وبهذا التصنيف المتعدد والمتنوع لدراستها، أختلفت النظرة وتعددت الآراء البحثية وتباينت بشأنها وتعددت تعريفاتها.

تتموضع الإرادة في سلوكيات الشخصية وتصرفاتها كصورة لفاعلياتها وديناميتها بصيرورة متوالدة، لتحقيق نزعات تتطلب الإنجاز أو عدمه وفق ما تمليه المصلحة الذاتية أو العامة ، نتيجة دوافع ومثيرات وبواعث فمفردت (Will) " كلمة تدل على الإرادة ،وتستخدم بمعنى ميل أو رغبة أو هوى أو عزم" .(٢،ص٤٠٩). والإرادة في كشاف (التهانوي) هي " نزوع النفس وميلها إلى الفعل، بحيث يحملها عليه، والنزوع الاشتياق والميل والمحبة والقصد " . (٣،ص٣٢). والإرادة وفق رأي (التهانوي) هي صفة ذاتوية جبلت عليها الشخصية ومتموضعة ومتمكنة منها بوعي تدفع بها إلى الفعل، مهما كانت عقباته ومصداته التي تفرضها النزعات الأخرى. وهي بذلك تعد شوقاً ونزعة نهائية متجذرة وميل جامح تدفع حاملها إلى تنفيذ الفعل بغض النظر عن ماهية محمولاته، ضاراً كان أم نافعاً، وبذلك تموضعت الإرادة في مفهوم " القوة التي هي مبدأ النزوع ، وتكون قبل الفعل " .(٤، ص٥٨). ويحيل (الجرجاني) الإرادة اعتقادا بالنفع أو الظن به يتبعه ميل ، وهي عنده " صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه. وفي الحقيقة هي ما لا يتعلق دائماً إلا بالمعدوم فأنها صفة تخصص أمراً ما لحصوله ووجوده " . (٥،ص٢٠).

يرى (روزنتال) الإرادة استعدادا واعياً للفرد للقيام بالفعل والتصميم المسبق لإتيانه، فالعزم والقرار والتنفيذ المسبق حاضراً ومتأسساً بوعي، وبذلك تكون معظم أفعال الإنسان ونشاطاته وسلوكياته، مظاهراً لتلك الإرادة والتي تنهل مواضعيها ونزعاتها من العالم الموضوعي الخارجي، فضلاً عن التأثيرات والظروف المحيطة، وتبعاً لهذه النزعات والميول والرغبات والحاجات والدوافع، يحدد الفرد أهدافه متخذاً القرارات وفقها مع تحديد الوسائل الإجرائية لتحقيقها. وهي نظرة بعيدة عن الفهم المثالي للإرادة، والتي تعدها صفة مستقلة بذاتها، وبعيدة عن التأثير الخارجي وظرفه والضرورة الموضوعية. وكل ما يقوم به الإنسان من نشاطات وفعاليات سلوكية ، هي مظاهر من مظاهر الإرادة الحرة والتي تتأسس في إختيارأهدافها وفق ما تمليه الرغبة الذاتية ومصالحها . ولا تكون الإرادة حرة ما لم تتأسس وفق اختيار صحيح ومتجذر عن الضرورة الموضوعية

ونابع منها . (٦،ص١٧). ويرى (أنجلز) في حرية الإرادة بأنها "لا تعني شيئاً إلا المقدرة على اتخاذ القرارات بمعرفة الذات".(٦،ص١٧). أي بمعنى أن الطابع الإرادي لفعل ما ، يتمظهر حين يتطلب من الإنسان القفز فوق المصدات والعوائق الذاتية والموضوعية ، الداخلية والخارجية، لتحقيق الهدف واستيعابه . وهذا يتطلب قراراً بالتنفيذ واختيار وسائله الإجرائية. فتنفيذ القرار يعد فعلاً للإرادة وقوتها تكمن في اختيار الهدف واتخاذ القرار الناجع وفي آليات التنفيذ وإتمامه.

والإرادة عند (لالاند) ملكة أو إرادة قوة أو كإختيار وهي " صورة الفعالية الشخصية، والتي تتضمن في شكلها التام، تمثل الفعل الواجب أنتاجه، ووقفاً آنياً للنزوع نحو هذا العمل، تصور الأسباب الموجبة للقيام به أو لعدم القيام به، والشعور بقيمة هذه الأسباب، قرار التصرف بموجبها، والتوصل إلى التنفيذ والأمتناع النهائي عنه ". (٧،ص١٥٦٣). فالفعل الشخصي في صورته الكاملة تصور أو امتثال للفعل المراد أتيانه وقرار وقتي لرغبة أو ميل إليه مع تصور مسبباته تنفيذاً أم عدمه. ويتمظهر الشعور بقيمة هذه الأسباب الداعية والمحرضة للقيام به أو الأمتناع عنه وعدم الرغبة فيه والميل عنه. ويكمن فعل الإرادة في فعلها في حالة معينة، ويمكن تسميتها بالمشيئة ، وهي فعل عقلي يتطلب تنفيذاً فورياً. وبذلك تكون الإرادة في حقل الفسلجة ، هي القابلية أو الاستعداد في القيام بالنشاط الحركي التي يكون مركزها المخ. وفي المجال النفسي هي القابلية في اختيار نزعة أو غاية من بين عدة غايات متصارعة ومتعارضة إلى حد يكون التصارع وشدته شعوراً حاضراً و متمركزاً لحظة إنشاء موازنة مابين الغايات، أقوى وأعمق في جانب النزعة أو الغاية التي سوف يختارها الفرد والتي يحاول تحقيقها والوصول إليها. وبذلك تضمن الفعل الإرادي حرية الاختيار ما بين الغايات والقدرة على الكف والكبح والمبادأة. ويحمل في معناه الفلسفي قيمة الخير والمعيار والمفاضلة في ضوء الأعتبارات الأخلاقية والاجتماعية .(٨ ، ص١٠٨). فمقاومة الرغبات والنزعات للرغبة أو النزعة المختارة، يتمتع بها الفاعل بقوة إرادة وبوعي نحو الميل، وهي بذلك تكون صفة للشخص ، والتي تتفاوت في مقدارها وفق تموضع قوة الإرادة وفعاليتها. ومن هنا باتت الإرادة جهداً دينامياً فعالاً، غالباً ما يتجه نحو غاية معينة ويتموضع فيها، سواء كانت شعورية أم لا شعورية. أو تكون نزعة قد تجذرت وتأسست عند كائن متفرد أو كائنات عدة كإرادة الحياة أو إرادة القوة أو إرادة الشعور. فالإرادية نزعة مثالية غالباً ما تعارضت مع الفكرانية إذ تذهب ميتافيزيقياً بضرورة تصور جوهر الأشياء وليس بدليل المقارنة مع الأفكار العاقلة، بل وفق ما تمليه نزعات الإرادة وغاياتها اللاعقلانية . ونفسانياً تتجذر صورة نسبياً إلى تلك الترسيمات والتمثلات والوظائف التي ينشط بها الذهن والعقل والتي تلتحق بها الوظائف العاطفية والشعورية والناشطة للروح.وأخلاقياً تتموضع في القيم من خلال تفوق العمل والشعور على الفكرة العقلية.(٧،ص١٥٦١، ص١٥٦٢).

يحمل الفعل الإرادي عند الفرد صفات لتندرج ضمن محمولات مفهومة وتعريفه. فالفعل الإرادي هو فعل جديد، ويكمن هذا التجديد ضمن حالات قمع الارادة لكل اندفاع أعمى أو غير منظور للقيام بالفعل بشكل آلي، وتتموضع الإرادة في منظومة الفرد، تحيل الفعل الغريزي إلى فعل تأملي محمول بقصدية، ومن خلالها ينظم الفرد نشاطاته وسلوكياته وتصوراته وفقاً لما يمليه الموقف أو الحالة التي يمر بها. فالفعل التأملي هو من صفات الفعل الإرادي، لحضور الشعور والوعي والإدراك للأقوال والحركات والغايات، فضلاً عن حضور الحكم العقلي للوصول إلى الأهداف والغايات، بحضور الإمكانيات والوسائل والكيفيات المتاحة. فعقلنة الفعل الإرادي حاضرة من خلال الربط المعقلن بين الوسائل والغايات، وبعكسه يضيع الفرد في دوامة الأتوميا. ومن صفات الفعل الإرادي حمله مفهوماً ذاتوياً فعلاً فردياً ذو صيرورة دينامية يختلف من فرد إلى آخر ومن ذات إلى اخرى، باختلاف القدرات الذاتية والفروقات الفردية، وتكون المسؤولية حاضرة عند إتيان الفعل الإرادي لوجود العقل، وهو بذلك مرآة عاكسة للخصال والسجايا كافة، والتي تكتنز في منظومة الشخصية الذاتية. وبذلك يكون الفعل الإرادي دينامياً متوالداً يبتعد عن التكرار كما يبتعد عن الغريزة .(٩، ص٧١٩ ،ص ٧٢٠). فبحظور

مبدأ المسؤولية السلوكية في حضرة حرية الاختيار، تكتمل طبيعة الإنسان، وبها ينعتق من العبودية والاستلاب والاستغلال والضغوط بأشكالها كافة.وهذا يتطلب حرية إرادة ، لذلك زود الإنسان بالعقل والإحساس والشعور والإدراك، والتي من الضروري استخدامها بالشكل المناسب . (١٠، ص٤١٤).

سيقت بعض المسائل الفلسفية بشأن الفعل الإرادي، لحمله صفات التجديد والتأمل والذاتية. منها حضور حرية الاختيار وتموضعها بقوة ، بغية تحقيق الفعل ، إذ لا يمكن للدوافع والمثيرات والبواعث لوحدها قادرة على إتيان الفعل الإرادي أو تعليله ، على الرغم أنهما يسوقان الفرد إلى القيام بالفعل وتدفعانه إليه، وبغياب المصدر الخارجي والظرف الموضوعي . فحرية الاختيار ضرورة لازمة عند الفرد، ولاسيما في موقف التوازن التام بين النزعات ، ولابد من توافر قوة تدفع النفس إلى القيام بالفعل ، وإلا صارت رهينة التردد وعدم القدرة على اتخاذ القرار. فتموضع حرية الاختيار وجوداً لاتخاذ الفعل هو بمثابة مصدات وعدم قبول وصعوبات باستحالة تحقيق ذلك النوع من التوازن النسبي بين الدوافع والنزعات، فضلاً عن اتخاذ القرار بوجود تلك القوة التي تدفع النفس، وقد يكون حكمها غير مرهون بعلة أو سبب ، والتي هي من محمولات حرية الاختيار. هذا ما يناقض صفات الإرادة التي تتطلب شعوراً بالفعل وإدراك المقصد، هذا بالإضافة إلى حمل المنظومة النفسية الكل المتكامل وليس الأجزاء. فالظواهر النفسية هي حالات شعورية مترابطة ومتداخلة لا تنفصل ولا تتجزأ. تثبت تتبدل ، تزيد وتنقص، تقوى وتضعف بتأثير الانتباه. بذلك قدمت هذه المسائل الفلسفية مسألة حرية الاختيار، انطلاقا من أحكامها الوهمية التي لا تلامس الواقع المعيش .(٩، ص٧٢١، ص٧٢٢).

يذهب أنصار المذهب الحتمي إلى أن الفعل الإرادي صائر في الزمان، وهو يجافي الفعل الاندفاعي لخضوعة للعقل، على الرغم من الاندفاع نحو الرغبة ومطالبها. فالاندفاع والرغبة في الشيء ونحوه، لا يعني الخضوع الأعمى لفعل الإرادة. ومتما تصادمت الرغبات وتناقضت النزعات وتقابلت الميول، أصبح الفعل إراديا ، نتيجة تمظهر الاختيار لنوع الرغبة أو النزعة أو الميل ، والتأخير في اتخاذ الفعل يضيع الفرد في أتون اللاحتمية والتردد. لذلك باتت الإرادة تعبيراً عن خلق الإنسان وماجبل عليه وتأثيره فيها. ويقلل الحتميون من عنصر الشعور وتموضعه في الفعل الإرادي كأحد اشتراطاته، إذ يزعمون بان الشعور لا يكون العنصر الوحيد والمؤثر، لأنه مقيداً وليس حراً، وعمله يقتصر على مشاهدة نتيجة الفعل، ليهيء الأسباب في داخله، لأن عديد من هذه الأسباب تكمن خارج الشعور.(٩، ص٧٢٣). يأخذ على أصحاب الحتمية مآخذ، إذ شبهوا الحياة النفسية بآلية مادية ورموزها، فالبواعث والدوافع والنزعات، هي كل متكامل وليس متفردة أو أجزاء أو مستقلة، بل هي في حالة تداخل واشتمال، يكون تأثير الانتباه سبباً بزيادتها أو نقصانها أو أثباتها أو تبدلها، وهي في حال دينامي وصيروري، وتتمظهر هذه البواعث والدوافع والنزعات في واجهة الشعور بتأثير الفعل الذهني ، وليس بالشكل الآلي المادي الميكانيكي المتوالد من تلاقي تلك القوى المادية.

ينبغي الفصل بين نية الفعل وإرادته ، لتحليل الفعل الإرادي، فنية الفعل يكون في محمولاته الميل أو الرغبة أو الحاجة للقيام بالفعل ،لاحتوائة القصدية ويدخل في أساسها. وهي تقترب من مفهوم الفعل التصوري الحركي، بوصف الحركة الإرادية تختزن تصورا مسبقاً لما سيؤول إليه الفعل الإرادي. فالتصور يسبق إتيان الفعل، والتصور هنا يولد عديد من الحركات الآلية غير التامة، كما هو الحال في آلية الفعل المنعكس، أما إرادة الفعل فهي أكثر تعقيداً وتركيباً من نيته ، لاحتوائه التصور مضافاً اليه نزعات النفس إلى الشيء والرغبة فيه، مع القناعة بالقيام بالفعل وإتمامه أو عدمه، ومن ثم التوصل إلى اتخاذ القرار والحكم بأتيانه، ويحيل الفلاسفة مراحل الفعل وإرادته إلى مراحل أربع انطلاقا من التصور المسبق للهدف المراد تحقيقه أو الوصول إليه، ويدخل ضمن آليات نية الفعل وإرادته، وينماز به الفعل الإرادي عن الفعل المنعكس والفعل الغريزي الخالي من التصور. ومن ثم تأتي مناقشة الدوافع والبواعث للإطلاع على المحركات الرئيسة لها، وبيان قيمة الفعل ومكانته ومكاسبه ، وللتفريق بين الدوافع والبواعث المتوافقة مع

العادات والنواميس والأعراف عن تلك المتعلقة بأهواء النفس والمنفعة، فالتدبير والروية قبل الحكم على إتيان الفعل أو عدمه ضرورة لا تدخل ضمن نشاطات الفعل وحسب، بل ترجع إلى تأثير الدوافع الانفعالية أيضاً، من ميول ورغبات ونزعات وعواطف. وبعد المناقشة تأتي مرحلة القرار واتخاذ الحكم، وهو جوهر الفعل الإرادي ، بوصفة الحد الفاصل بين نهاية المناقشة ومبدأ الاختيار. وبذلك تكون الإرادة حاضرة ومسؤولة عن فعلها في حدود علمها وحريتها في اتخاذ القرار بشأنها. وتأتي نهاية المراحل لحظة التنفيذ لإتمام مرحلة القرار، متجاوزاً النية إلى الفعل. والتنفيذ لا يتعلق بالذات، وإنما بالظرف الخارجي والمحيط، وبذلك بات التنفيذ عنصراً خارجاً عن الإرادة الحقة، لأنه مرتبط بظرف خارج عن نطاق الإرادة الذاتية.(٩،ص٧٢٥،ص٧٢٦)و(١١،ص١٣،ص١٤). وقد وجهت أصابع النقد لهذا التحليل، انطلاقا من أن مراحل الفعل الإرادي لا تتجزأ أو تنفصل أو تنقسم ، بل هي متداخلة ومترابطة لا انفصام فيها، فضلاً من أن مرحلة التنفيذ تعد عنصراً خارج نطاق المنظومة النفسية ، وهي مرحلة مادية بحتة، وتصور الهدف ومناقشة الدوافع والبواعث تستلزمان تواجد العقل والعاطفة معاً.

وتتموضع الإرادة في أخذ دورها الأصيل في مرحلة القرار، وهو دور معقد ومتشعب ومتداخل ومنسجم مع الدوافع والبواعث والعواطف والأفكار والتصورات، فالبواعث العقلية والدوافع الانفعالية هي الموجه الأصيل والرئيس لفعل الاختيار وتعليله.(٩،ص٧٢٧). فالإرادة وفق هذا التصور فاعلية نفسية تسترشد بتوجيهات العقل وتصدر أفعالها نتيجة بواعث يمليها العقل بأحكامه. وهي فلسفة تضايفية يرتكز البعض مع الآخر ويفضي إليه ويفسره ويفترضه. فالإرادة بمعناها العام والأشمل إرادة ليست عاقلة لعدم صدورها عن بواعث ودوافع، ومتما صدرت عنها وتحددت بها اختيارا، صارت إرادة عاقلة، تقوم بعملها وفقاً لبواعثها التي هي في الأساس امتثالات متركزة في المخ، والحركة الناتجة من الإنسان على أساسها هي وحدها المنتسبة إلى الإرادة الحرة والمختارة. والإرادة حسب (شوبنهور) فاقدة الشعور والعقل ، لان الشعور يتطلب عقلاً، والعقل شيئاً عرضياً بالنسبة إلى الجوهر والماهية ، بوصفة وظيفة فسلجية للمخ والجهاز العصبي. وهي ليس صميمياً في الكائن العضوي، ولا تتحدد قيمته إلا في آليات تنظيم الروابط مع العالم الخارجي. (١٢، ص١٩١،ص١٩٢). فالإنسان حاملاً المنظومة النفسية والعضوية والاجتماعية ومتفرداً بها عن الآخر بوصفه " ظاهرة بين الظواهر... له طبعه وماهيته وأفعاله ما هي إلا نتائج للدوافع التي تعتمل في نفسه، وذلك خضوعاً لأحكام الضرورة " .(١٣،ص٣١) . وبذلك يتصير طبع كل إنسان ، بوصفه فرداً لا يرجع كله إلى النوع، بل هو مثال خاص يتجاوب مع فعل خاص من أفعال الإرادة التي تستحيل بها إلى موضوع . وهذا الفعل نفسه يتصير إلى الطبع المعقول، وظاهرة هذا الأخير تصبح الطبع التجريبي، والطبع التجريبي . يحدده تماماً الطبع المعقول وهو الإرادة . (١٣،ص٢٦). فالطبع الإنساني صيروري متغير من فرد إلى آخر، مما يحيل إلى اختلاف الفعل الإرادي لذات الدافع باختلاف الطبع من فرد إلى آخر، والفعل الإرادي هو حصيلة الدافع والطبع على حد رأي (أبن رشد) الذي يحدد الفعل الإرادي بفعلان هما فعل الإرادة وفعل الطبع.(١٤،ص٢٢٦). وهناك ثلاثة طبائع، الأول الطبع المعقول النابع من الإرادة حاملاً للحرية ولا يرتبط بالعلة الكافية ، والثاني الطبع التجريبي وهو انعكاس للطبع الأول ونتيجة له ويخضع للعلة الكافية ، والثالث الطبع المكتسب وهو معرفة مجردة يبلغها العقل من الإرادة نتيجة اصطدامها بالعامل الخارجي . (١٣،ص٢٦).

تشترط الإرادة شرطين أساسين لتمظهرها، الأساس الأول متعلق بتصور المثل وهو مختلف باختلاف مرجعيات الفرد، وذو صيرورة بتغير الظرف الاجتماعي والمادي والنفسي. والأساس الثاني هو الإيمان بالنفس ، وهي ضرورية لفعل الإرادة من حيث اقتناء الأعمال والأهداف والغايات التي تنسجم وتتوافق وتتناسب مع القدرات والإمكانيات، ولطالما سعى الفرد إلى تحقيق قوة إرادته من خلال تصوره لمثل وأنماط علياً تكون قابلة المنال والتحقيق ، وفقاً لحدود قابلياته المستندة إلى الإيمان العميق بالنفس، وفي حال تموضع الإرادة في

حياة الفرد تموضعاً صحيحاً، كان هناك تنظيماً للأفكار والعواطف مع السيطرة التامة على جماح النفس وكبح نزواتها وأهوائها وإراداتها، وتتفاوت قوة الإرادة من فرد إلى آخر وفقاً للقابليات والاستعدادات والإمكانيات . والشيء الضروري ليس في قوة الإرادة قدر أن تكون هذه الإرادة صحيحة. وتستمد الإرادة قوتها من انتظام الأفكار والنزعات، فضلاً عن تمركزها وقوتها فالملكة القوية هي بالتأكيد تحتاج إلى إرادة قوية . (٩،ص٧٢٧ – ص٧٢٩).

المبحث الثاني

عوامل الإرادة .. نظرياتها ومرجعياتها

بحث الفلاسفة مفهوم الإرادة بوصفها ظاهرة مركبة لمنظومتها النفسية والعقلية والاجتماعية، وتفاوتت الآراء واختلفت وتباينت بشأن مرجعياتها، فمنهم من صنفها ضمن نشاطات الإنسان الأولى(الرغبة)، ومنهم من أخضعها للانفعال ، ومنهم من أرجأها إلى الحياة العاقلة ، ومنهم من أفردها كقوة مستقلة بذاتها.

أولاً: العوامل النفسية

أ – الإرادة والرغبة (نظرية كونداياك)

تتموضع الرغبة ضمن أولويات الإرادة ، إذ لا تخلو أي إرادة من (رغبة) ، لذلك زعم (كوندياك) بأنها جوهر الإرادة وأصلها ، ويشترط فيها أن تكون مطلقة ومسيطرة ومهيمنة ومؤثرة وطافحة والتي تثير الانتباه، وينبغي لهذه (الرغبة) أن تكون ممكنة المنال وتحقيقها والوصول إليها ضمن الإمكانيات والقابليات المتاحة والمتوافرة. وتدخل هذه النظرية ضمن الفاعلية الابتدائية وإراداتها. فـ(الرغبة) شيء بسيط وعنصر من عناصر الشخصية ، وهي متقلبة وذات صيرورة تابعة لهوى النفس، عكس الإرادة التي يكون فيها الإدراك حاضراً ، والذي يقف حائلاً أمام الرغبات ومصداً لها. فـ(الرغبة) متوالدة في النفس بالقوة، وتتصف بالجماح وعدم الانضباط، وتخلو من الاختيار. في حين تتموضع الإرادة نقيضاً لذلك، فهي تتمتع بحرية أفعالها ومجاهدة ضد الرغبات ومطاليبها، ولو سايرت الإرادة (الرغبة)، لكان الإدراك حاضراً وقوياً. ومساوىء هذه النظرية أنها تجعل الفرد الأكثر (رغبة) هو الأقوى إرادة وهذا الأمر لا يبدو سليماً وصائباً، لأن الميل نحو الشوق والرغبة فيه يعد شيئاً سهلاً والنزوع عنها صعباً. في حين تتموضع الإرادة في المقاومة وعدم الانصياع التام .(٩ص٧٣١، ص٧٣٢).

ب – الإرادة والانفعال (نظرية ووندت ورينيانو)

يرى (ووندت) في الإرادة ملازمتها الحياة النفسية ومتسورة بها ومحيطة، وهي في حالة نمو ونضج، والإرادة لا تتمهظر من غير انفعال نفسي يحيلها ظهوراً وتموضعاً وتمركزاً. ويضيف (رينيانو) أن هذا الظهور والتموضع لا يتأسس إلا من خلال تصادم النزعات الانفعالية وتعارضها ، لذا باتت الإرادة نزعة انفعالية تدفع الفرد إلى القيام بالفعل اللاإرادي فهي تطفح على باقي النزعات الانفعالية لشدتها وقوة حضورها واتساعها وديمومتها، فضلاً عن تموضع النزعة المستقبلية على النزعة الحاضرة ، ليتمظهر العمل الإرادي الحقيقي . وعيب هذه النظرية يكمن في أن الانفعال لا يوفر تنظيماً في الحياة النفسية ، لفقدانه التركيز والترتيب والتنسيق والمزاج الحساس الذي يكون ضعيف الإنصاف بالإرادة . فالإرادة تتأسس وفقاً لرأي (رينيانو) في تصارع النزعات والميول والرغبات وتنازعها والانقياد لها. وهذا يولد نوع من التردد، فضلاً عن التوجيه الأعمى ، ولا يعطي جهداً ولا مناقشة وتدبير ، بذلك اضحت الإرادة جهداً مضاعفاً ومركباً يمنع الانقياد الأعمى للرغبة والنزعة، وينهي التصارع بين الميول والنزعات. وهي وفقاً لذلك ابتعدت عن وصفها نزاع أو انقياد.(٩،ص٧٣٢، ص٧٣٣).

جـ– الإرادة والعقل (النظريات العقلية)

يعزو أصحاب النظرية العقلية، بأن كل فعل إرادي حقيقي تكمن ورائه نزعة عقلية ، وانها جوهر الإرادة . وهذا الرأي لا يبدو أثيريا أو مستحدثاً، إذ تطرق عديد من الفلاسفة أبتدءاً من (سقراط إلى أفلاطون وأرسطو) مروراً بـ(ديكارت) و(أسبينوزا) اللذين عدو العقل جوهر الإرادة ولبها وصورة من صورها . ورؤوا بأن " ماهية الفرد تكمن في نفس، وهذه النفس كائن له قدرة على التفكير والتفكير المجرد قبل كل شيء ، أما الإرادة فوظيفة ثانوية للنفس، بل أن الإرادة في هذه النظرية هي والحكم العقلي شيء واحد".(١٣،ص٣٤). ويؤيد (ديكارت) دور الإرادة في إصدار الأحكام ، إذ يرى أن

الأخطاء لا تكمن في العقل، بل تحدث أخطاء العقل بسبب الأحكام الإرادية، ومن ثم تمظهر صعوبة التوصل إلى الأفكار والمفاهيم والتأمل وإنشاء العلاقات، أما الإقناع فهو من عمل الإرادة التي بات دورها مواجهة العقل . (١٥،ص١٧). ووجدت اعتراضات وملاحظات أزاء هذه النظرية، والتي لا ترجع الإرادة إلى العقل ، بوصفها فعلاً ليس ناشئاً عن التصورات والمعاني، بل تعد تركيباً ذهنياً تشترك فيه الشخصية العاقلة كلها. وينبغي التفريق بين الحكم والإرادة ، إذ يتبنى الحكم توافق المعاني أو تنافرها، بينما تتبنى الإرادة توافق النزعات أو تعارضها، فضلاً أن التصور يكون أضعف حالاً من الانفعال، لأن الفرد تحركة العواطف أكثر من الأفكار، وتكون هي في الطليعة وتعطي للتصور دفق جديد. مما حدا العمل بالتفريق بين ميزة العقل وميزة الإرادة ، فالعقل متردد متشكك لكثرة تصوراته وتنقلاته، ومن ثم بات الحكم والعمل شيئاً ليس باليسير. لذلك غالت هذه النظرية في تأثير العمليات العقلية وعناصرها وملكاتها في الفعل الإرادي. إذ أن الميل نحو شيء ما، هو الذي يحيل العقل إلى الاتجاه نحوه وطلبه وإرادته.(٩،ص٧٣٥،ص٧٣٦). ويؤكد (توما الاكويني) في شروحاته وكتبه في أن الإرادة تهدف وتتجه نحو الخير، وهي تعمل وفق مايمليه العقل عليها وتنقاد بتوجيهاته، لذا يضع (الاكويني) حداً مميزاً بين القدرة العقلية والقدرة الإرادية .(١٥،ص١٦). ويفرق (أسبينوزا) بين الإرادة والعقل عند الإنسان، ويرد الإرادة إلى توجيهات العقل، لأنها ليست علة حرة ، بل هي علة ضرورية ولازمة، ولابد من مشاركتها الفعلية في ضرورة الفكر. وبذلك يقف (أسبينوزا) موقفاً معارضاً من (شوبنهور) مهاجماً آرائه في تموضع الإرادة وسيادتها على العقل، في حين يعطي (أسبينوزا) أولوية للعقل ورد الإرادة ومرجعها إليه .(١٥،ص١٨). ويرى (شوبنهور) في مسألة الإرادة والعقل ، بأنها معرفة الإنسان لذاته ، وهي درجة من درجات المعرفة غير العيانية ، لأنها بعيدة عن الحس والمكان ، وهي معرفة بعدية وليست قبيلة، كالمعرفة الذهنية الصورية، بل هي معرفة واقعية ، ومن ثم بات التنبؤ حالة ليست باليسيرة، وغالباً ما تكون زائفة وكاذبة . لذا لابد من الإرادة والبحث عنها، لأنها المفتاح لأي معرفة والسبيل الحقيقي للوصول إلى الحقيقة. فلابد من معرفة الذات لإدراك الإرادة ثم إدراك الطبيعة لنشدان المعرفة التامة والموافقة للشيء في ذاته ، ولابد أن يكون الإدراك مباشراً ، ولا بد من تواجد عقل في الجسم الذي تخلقه الإرادة ، ليتصل بالعالم الخارجي ، وبه تتعرف الإرادة نفسها عن طريق التأمل كإرادة.(١٢،ص١٨٨، ص١٨٩). ويؤيد (شلينج) معقولية الإرادة ، وباندفاعها القوي إلى الوجود والبقاء ، ثم سلبها معقوليتها تدريجياً في مرحلة لاحقة .(١٢،ص٢١٥) . ويعطي (نيتشه) معقولية للإرادة ، إذ هو يعادلها مع العقل ، على الرغم من إنها خالصة ، وهي أساس الحياة في حال تمركزها بقوة . (١٢، ص٢١٥).

د. هل الإرادة قوة قائمة بذاتها (المذهب الإرادي)

يزعم أصحاب هذه النظرية بأن الإرادة قوة قائمة بذاتها ومستقلة عن قوى النفس الأخرى، لاعتقادهم بأن العمليات العقلية والانفعالية وعناصرها لا تكفي لاستحداث الإرادة وتكوينها، بل هي جوهر بسيط يفعل بكليته ، لذلك زعم (دريكارت) بأن " إرادة الإنسان كإرادة الله لا حد لها ولانهاية لها".(٩،ص٧٣٦) . كذلك اعتقادهم بأن تصور الهدف ومناقشته هي عمليات عقلية تهيئ الفعل الإرادي لا إتيانه والقيام به ، كذلك اعتقادهم بأن العزم هو مستقل عن المناقشة ، ومرجعه يعود إلى الإرادة ، وهي وحدها القادرة على اتخاذ القرار دون قيد أو شرط ، وتتجرد عن تأثيرات الدوافع والبواعث وإسقاطاتها . وبذلك تكون الإرادة علة أولى وبداية مطلقة ومتجذرة ، تنطلق من عندياتها وليس من مصدر آخر . (٩،ص٧٣٦،ص٧٣٧). ويضع (يوحنا دونس أسكوت) وهو من أنصار الإرادية ، يضع الإرادة تموضعاً مادياً يفوق العقل ، لأنها متحكمة فيه . فالعقل الإنساني الواحد ذو الموضوع الواحد ، لا يستطيع أن يتموضع في نظام الطبيعة والحرية في آن. وإرادة الإنسان لا تحتاج إلى ذلك الشوق أو الميل إلى السبب أو العلة التي يقدمها العقل ، لان بإمكانها أن تفعل أو لا تفعل . وتفعل وفق المسار الذي وجب لها . وهي بذلك تتحكم في سائر الاستعدادات والقدرات الإنسانية.(١٥،ص١٧). وأولوية الإرادة على العقل عند

(أسكوت) يتبين من تموضع الغاية القصوى في حب الله ، وهذه المحبة تتموضع في الإرادة ، ومحبة الله أعمق وأكمل من معرفته من جهة ، ومن جهة أخرى إن الإرادة قوة فاعلة بذاتها توجه العقل ، لأنها تريد . لكن (أسكوت) ينسى تعين الإرادة من قبل العقل ، بوصفها جهة شوق واشتهاء التي تستلزم العقل وحكمه لذلك . ولأن الإنسان يريد شيئاً يحبه ويشتهيه عليه أن يتعقله اولاً على الرغم من تأثير الإرادة على العقل بكل فعالياته .(١٦،ص٢٢٣) و (١٧،ص١٧٩) . ويذهب (وليم اوكامي) إلى ذات التصور، فالإرادة حرة وذات قدرة فعالة للتشوق والميل أو عدمه لما يقدم إليها من قبل العقل . فهي حرة في اختيار الأغراض والأهداف، وحرة في اختيار الكيفيات والوسائل الإجرائية للوصول إلى تلك الإغراض والأهداف. وتنطلق من مفهوم إن الإنسان قد جبل على الحرية – والتي يسميها بتلقائية الفعل – وينتسب إليها، وهو بعيد عن نظام أو مذهب الطبيعة – والذي يسميه الاستقلال عن القهر – بقوانينها المفروضة عليها والمحكومة بها .(١٥،ص١٧). وأعتقد (ويليم جيمس) هذا المذهب إذ يرجع أصل الإرادة إلى الفعل التصوري الحركي، وهو يفترق عن الفعل الإرادي ذو المعرفة والقدرة والفهم، لأن الحركة تتبع التصور في الفعل التصوري الحركي، ولا تبدأ في الفعل الإرادي إلا بعد المناقشة، وهذا التصور يلاقي تصورات أخرى متقاربة أو متعارضة، فيحدث نزاع التصورات، ويأخذ الاختيار النفسي وقتاً وجهداً في تغليب أحد التصورات بجهد الانتباه وهذا الجهد الإرادي يعد بمثابة القوة المتفردة التي تدفع بالتصور الأقل حضوراً إلى التنازع والغلبة مع التصور الأكثر حضوراً وتمركزاً، إذ يقول (جيمس):" أن الإرادة توجه الانتباه إلى التصورات الصعبة ، وتجمع هذه التصورات في مركز الشعور، وهذا كله يقتضي جهداً وانتباها . ولا يوجد هذا الجهد إلا حيث يطمح المرء ببصره إلى الأمور السامية التي ترفعه عن حضيض العادة، والغريزة وتسمو به يفاع الاستبصار، وتجعله يشعر معها بأنه قادر على مخالفة الشهوات، ومجاهدة الهوى والسير في طريق المقاومة الشديدة " .(٩،ص٧٣٧). ومن الملاحظات التي قيلت ضد هذه النظرية ، هي عدم إيمانها وتسليمها بذاتية قوة الإرادة، لأنها ليست فعل نفسي بسيط، ولا تتوقف قوتها أو تثبت ، بل هي في صيرورة ودينامية، هي مجموعة أفعال حاملة لعديد من الفعاليات والعناصر. ويأخذ على (ويليم جيمس) إرجاعه للإرادة الجهد الإرادي المقرر ووضعه العزم كقوة مسيطرة تدفع الشيء إلى أن يكون. إذ لا بد من توافر عوامل أخرى، وإلا كيف بمقدور الإرادة أتباع طريق المقاومة، وكيف لها أن تدفع بالتصور الأقل حضوراً والأضعف تمركزاً علىالتغلب على حساب التصورالأقوى. ويعد (شوبنهور) من طليعة من أعطى الإرادة استقلالية وقوة وحضور وتمركز، فهي " وحدها ولاشيء غيرها هي التي تمنح الفرد مفتاح وجوده الظاهري وتكشف له عن دلالته ، وتشرف به على القوة الداخلية التي يتألف منها وجودة وأفعاله وحركته".(١٣،ص٨). والإرادة عند (شوبنهور) عمياء وبلا أساس ولا تمييز ولا معقولة وهي لا تعرف النظام معناً والغائية مدلولاً. وهي قوة مندفعة ذات هياج مستمر، لا غاية لها ولا حد نهائي يوقفها لصيرورتها المستمرة، وهي تنفلت من رقابة مبدأ العلة الكافية، المبدأ المنظم والمعقول والنهائي والغائي. فالإرادة عند (شوبنهور) "حرة لأنها الشيء في ذاته والشيء في ذاته لا يخضع لمبدأ العلة الكافية".(١٣،ص٢٩، ص٣٠) فالإرادة ليست ظاهرة خاضعة لمبدأ وهي تعترض على كل نشاط يتجه نحو غاية مغايرة أو مخالفة لغاياتها. فأولوية الإرادة بوصفها الجوهر،والعقل شيئاً عرضياً ثانوياً لا يستطيع التصور العام تصوراً منطقياً وموضوعياً عميقاً ما لم يتحرر من أساس الإرادة، وهو في الوقت نفسه يظل خاملاً ما لم توقظه الإرادة بغاياتها ومطاليبها. وبها يبدأ بمعرفة الأشياء وعلاقاتها، لأنه ظاهرة صرفة وهي الشيء في ذاته، وهو فيزياوي وهي ميتافيزيقية. (١٢،ص١٩٤). ويرى (فختة) صاحب المذهب الإرادي ، بأن الغايات لا ترتسم ولا تصبح كذلك إلا في حال إرادتنا لها لأن " الكائن الحر يريد لأنه يريد، وأن ارادة الشيء هي نفسها المبرر الأخير لنفسها ".(١٨،ص١٢٨٢). وهذا الشيء ينبغي أن يكون خيراً إذا كان معقل رغباتنا ، ويكون شراً بمقدار ما ننفر منه . وبذلك يكون الخير والشر تابعين للرغبة التي تختلف باختلاف الأفراد. وبذلك وضع أنصار المذهب الإرادي ،

الإرادة في المقام الأول والأساس الأول للكون، وهو اتجاه مثالي ذاتي في الفلسفة وعلم النفس، تم الاعتراض عليه من قبل المذهب العقلي.

ثانياً: – العوامل العضوية

أ – الفعل الإرادي والفعل المنعكس (النظريات النفسية الفسيولوجية)

تكمن الحركة المنعكسة كصورة من صور الفاعلية في الأجسام، فالإرادة وفقاً لهذه النظرية هي" الحد النهائي لتطور تدريجي أول مرحلة فيه مرحلة الفعل المنعكس البسيط ". (٩،ص٧٣٩). لذلك يزعم (ريبو) بأن الإرادة هي " العمل أو الانتقال من القوة إلى الفعل ، وإن الاختيار آن من آونة الإرادة، فإذا لم ينقلب مباشرة أو في الوقت المناسب إلى العقل، لم يتميز عن العمليات الذهنية المنطقية ". (٩،ص٧٣٩). فالإرادة مجموعة فعاليات منتظمة ركبت وفق قوانين التداعي (النفسي والفسيولوجي). إذ يرى (سبنسر) بأن الإرادة " كالغريزة، فعل منعكس مركب، وعلل هذا التركيب بقوانين التداعي، والتطور والوراثة ". (٩،ص٧٣٩). فالإرادة قوة اندفاعية، بل هي تدرج للتطور الصاعد القافز من المنعكس البسيط إلى التصورات والمعاني المجردة، لذلك زعم (مودسلي) بأن" الإرادة اندفاع صادرةعن فكرة ". (٩،ص٧٤٠). وهذا الرأي يعد قاصراً بوصف الإرادة لا تقتصر على أنها قوة اندفاعية وحسب ، بل هي قوة مصد وإيقاف بكل ما تحتويه الحركات الفسيولوجية المقومة لعمليات الكف. وأهملت هذه النظرية الجانب الشعوري وأثره في مراحل التطور النفسي، ففعل الإرادة يكمن في نشاط عقلي يصحب معه نشاطاً جسمياً قبالته فتحريك اليد هو فعل إرادي، واليد تتحرك هي استجابة جسمية. ويقترب (كامبل) من هذه النظرية وهو صاحب نظرية الفكرة المحركة والتي عنيت بفعل الإرادة ، إذا لا يمكن للفكرة أن تتمثل أو يكون لها شكلاً من غير حركة الجسم التي تقصد إلى انبعاثها. ويسمي (مورجان) هذه الفكرة ، ذكرى للحركة المنتواه تحقيقها.(١٨،ص٩٨٠). ويصور الفعل الإرادي النفسي الفرد ، بوصفة كائن حي ينشد غايات ونوايا ورغبات يريدها، ويوظف العقل في خدمة الإرادة لكي يحققها. لهذا أعتقد (هوبز) بأن " السلوك البشري الإرادي هو استجابة لرغبات سواء بالإقبال أو النفور". (١٨،ص١٢٨٢). وهو يقف على النقيض من النظرية العقلية التي توجد أهدافها، ومن ثم توجد إرادتها للعمل.

ثالثاً: العوامل الاجتماعية:

الإرادة والأمر الجمعي (النظرية الاجتماعية)

الإنسان كائن اجتماعي حاملاً لبنى ومنشآت اجتماعية يؤثر ويتأثر مع الآخر والمحيط، وبذلك تستمد الإرادة وفق هذه النظرية وحسب رأي (بلوندل) صفاتها الذاتية من مجموع المعاني العامة والقواعد والأوامر والعادات والأعراف والتقاليد والنواميس التي يخضع المجتمع لها، فالمظاهر النفسية والفسيولوجية ما هي إلا انعكاس فردي خاص تتأثث الإرادة وفقها. في حين تضمن المعاني العامة والأنماط العليا التي تسود المجتمع، الوحدة في التجارب والاتصال مع الآخر، ومن ثم تتشكل الإرادة وفق هذه النظرية خضوعاً انفعاليا جمعياً وقبولاً غير معقلن لتلك المعاني العامة والأنا الجمعي ، انطلاقاً من إن التصور الجمعي يحوي تصور الفرد وتجاربه وحاملاً إياها لتندرج ضمن مفردات تصورات المجتمع وتجاربه غير المحدودة، فتصبح ركائز تستند عليها عقول الأفراد وإراداتهم، ولحمل الفرد مفاهيم شمولية وكلية وسلوكيات الكائن الحي برمتها ، كان الخضوع الانفعالي لتوجيهات الجماعة إراديا .(٩،ص٧٤٢). وعيب هذه النظرية أنها تحيل الفرد منصهراً في بودقة الآخر والجماعة، وتجعله خاضعاً فاقداً الذاتية والاستقلال جراء ذلك الخضوع الإنفعالي الأعمى غير المعقلن بفعل السيطرة الخارجية المفروضة على إرادة الفرد، وهي في الوقت نفسه تحمي الفرد ، بوصف العوامل الاجتماعية مصدات وضمير حي وقوي لمجابهة شهوات النفس والانزلاق في هواها، وبذلك يقع الفرد فريسة الغرائز تارة ، وسيطرة القواعد الاجتماعية تارة أخرى. لذا كان لابد من التوازن في الشخصية وسلوكياتها ، من حيث الاستقلال الذاتي والإرادة الحرة مع عدم التنصل الكامل من المعاني العامة والانتساب للقواعد الاجتماعية وأبنيتها ومنشآتها، مع رفض الخضوع الآلي الأعمى ، وإبداع المثل العليا الجديدة بالاستناد إلى المجتمع والخضوع له باختيار واعٍ . تجسدت هذه النظرية في آراء (روسو) ومدوناته

الاجتماعية ، ويذهب إلى ضرورة التفريق بين الإرادة العامة وإرادة الجميع، فالأولى تدخل ضمن اهتمامات المصالح المشتركة ، وهي تعد أساساً شرعياً لكل سيادة ، وشرعيتها قائمة من اختصاصها برعاية المصلحة العامة وتأييد الأكثرية لها، وقراراتها تصب في الصالح العام. في حين تهتم الثانية بالمصالح الخاصة لإرادتها الجزئية التي تميل إلى الترجيح إلى المساواة كما هو الحال في الإرادة العامة. ويطلق علماء الاجتماع على الإرادة العامة بالإرادة المشتركة أو الإرادة الجمعية. (٧،ص١٥٦٥). ويرى (روسو) أن حرية الإنسان وامتلاكه الكامل لها، لا تنظم إلا في عقد اجتماعي يلتزم الجمع بمبادئه وطاعته لإحلال مبدأ المساواة، كي يمارس الإنسان حريته . فالطاعة خاضعة للإرادة العامة وليس للحاكم ، والتي ينبغي لها أن تعلو على كل الإرادات الذاتية والمصالح الخاصة، وأن لا تكون هذه الإرادة الجمعية سلطة خارجية قدر وصفها تجسيداً للطبيعة الأخلاقية للإنسان . (١٨،ص٦٦٩). ويرى (ديدرو) بأن الإرادة الذاتية ما هي إلا ظناً واشتباهاً وريبة. أما الإرادة العامة هي إرادة صالحة وخيرة ، لأنها متموضعة ومتجذرة ومدونة في مبادئ الحق لدى الأمم المتحضرة كافة، وعند الشعوب المتخلفة والمتعارضة ضمن الاتفاقيات الضمنية . (٧،ص١٥٥٤، ص١٥٥٥) . ولكن هل تعطي الإرادة التوافقية العامة حلاً لمشكلة الإرادة . ومادامت الإرادة ذات حرية منفتحة وكاذبة لا يمكن أن تجايل الحتمية وتقابلها، إذ غالباً ما يعتنق الفرد حرية اعتقاد ذاتية ويؤمن بها حتى لو كانت غير مقابلة للحتمية الجمعية .(١٩،ص١٧٤).

رابعاً:- العامل الذاتي

تحمل الإرادة وظيفتين تبعاً لدراسة العوامل الذاتية. الوظيفة الأولى هي وظيفة التركيب الذهني العالي الذي تتطلبه الإرادة لإنجاز فعلها وقوتها . بحكم قفزها فوق مستوى الاندفاع السهل والرغبة والتصور الأحادي ، ولا يمكن أن تنشأ منها أو تتولد جرائها، حتى لو تواجد الباعث أو الاندفاع الراجح والمسيطر، لأنه لا يعين الفعل الإرادي ولا يحدده ، بل لا بد من توافر اندفاع قوي و مجموعة رغبات ونزعات وانفعالات وتصورات . (٩،ص٧٤٣). فالفعل الإرادي هو فعل نفسي جديد ومستحدث لا سابق له، وهو على حد قول (بيرجانه) هو " فعل جديد وهو يجمع العناصر النفسية الموافقة للظروف الجديدة ،ويركبها تركيباً لا عهد لها به من قبل ". (٩،ص٧٤٤). والوظيفة الثانية هي وظيفة التحليل والتي تبني التركيب ، وبحكم وصف الإرادة وظيفة نفسية عالية، فهي تدخل ضمن آليات نشاطات الإنسان وفعالياته ، فهو تارة يستخدم أفعاله ذات النية المسبقة ، حركات آلية وغير إرادية ترتبط بعادات سابقة وتعتمل معها وتلتصق بها، وفي أفعاله الإرادية الحقيقية، يلجأ إلى تفكيك حركاته الآلية واللاإرادية وينسفها ليحرر نفسه منها، وصولاً إلى أصولها والى أوائل العادات القديمة التي تجبرها ، ومن ثم يفقد الانسان صفة التجديد والاكتساب . لأن الإرادة وحسب بيان (ملنيان) هي" قوة تجديد وأن هذه الصفة ملازمة لها في كل فعل " .(٩،ص٧٤٤). وعندما تتموضع الإرادة وحضورها بقوتها وتمركزها ، فأنها تنسف الأوضاع القديمة وتبحث عن التجديد في حركاتها الآلية واللاإرادية. وكلما تعقدت الأهداف كلما عظمت قوة وظيفة التحليل الارادي، لبنائها العالم الجديد التي تنشده . فالإرادة قوة مندفعة ومتجددة ومتطورة.

أمراض الإرادة:-

بوصف الإرادة وظيفة نفسية عالية، كان من الجائز أصابتها بالخمول وانحلال والتفكك في حالة مرضها الذي يمكن تحديده بثلاثة أنواع وكما حددها (ريبو) .

١ – فقد الاندفاع . الذي يتولد نتيجة هزالة القوى المحركة الدافعة وأحياناً فقدانها، لضعف النزعات والرغبات والميول ، ومن ثم تفتر القابلية للقيام بالفعل الإرادي وصولاً إلى حالة فقدان الإرادة. وقد تكون الرغبة بأتيان الفعل حاضرة ومتوافرة، ولكن الإمكانيات والقابليات لا تسعف القيام به . وتنشط مقابل ذلك قوة الخيال وأتساعه والادعاء بقوة الإرادة قولاً لا فعلاً وتنفيذاً . فالإرادة الضعيفة ينشأ عنها فقد الاندفاع نتيجة ضعف الحس وركود الحياة وقلة التأثير وركود النزعة.

٢ – فرط الاندفاع. الاندفاع الأعمى والعارم والتهور الطائش إلى إتيان الفعل والقيام به دون مناقشة وروية، فتتمظهر الدوافع الحسية وتركز حضورها بقوة على حساب الملكات العقلية، ومن ثم باتت الإرادة وسيلة آلية

تسيرها الغرائز دون مرشداً أو دليل، فالأفكار القابعة في الذهن لا يمكن طردها بسهولة ، فهي تدعو حاملها إلى التنفيذ السريع، والفعل الذي يليها هو يقترب أو يشابه كثيراً الفعل المنعكس. ويتأسس فرط الاندفاع عند الأفراد سريعي الغضب وفي حال تمركز الرغبة والضعف أمامها وعدم القدرة على مقاومتها وغلبتها ، فضلاً عن فقدان التفكير أو الإفراط فيه ، مما يولد التردد والطيش وارتباك النفس، والذي لا يستطيع الفرد أن يقرر شيئاً . ومرد كل ذلك هو ضعف العقل أو غيابه.

٣ – بطلان الإرادة (عالم الوساوس) . يتمرحل الفرد إلى التشويش وفقد التوازن عندما تنحل إرادته ، محيلة النفس إلى حالة من الفوضى وعدم الانتظام، فاقداً التفكير السوي المنظم ، ويقترب الفرد فيها إلى حالة (الخبل) ، إذ ينتقل انتقالات فجائية ومتناقضة أحياناً ، من الضحك إلى البكاء، ومن الفرح إلى الحزن ، ومن الرحمة إلى القسوة . فالفعل عاجز عن السيطرة ومقاومة هذه النزعات والانتقالات ، وعاجز عن كبح جماح النفس لفقدان الشعور الآني بالواقع، فضلاً عن فقدان الحس الاجتماعي .(٩،ص٧٤٧، ص٧٤٨)، والظروف التي تعيق الإرادة هي الاندفاع المتحمس والكبت المبالغ فيه، وفقدان الطاقة والطاقات المزيفة ، واللامبالاة المرضية، والتصلب الذهني، والعناد والإصرار والأفكار الثابتة والانقباض العدواني والحماقة وعمل اللاوعي لغير صالح الوعي وكل ما يجزأ الشخصية أو يخرقها وكل ما يعيق التحليل الذهني. أما الظروف التي تسمح للإرادات هي التوازن بين الاندفاع المتحمس والكبح والحيوية والطاقة الحقيقية والتوازن والسيطرة على النفس والاهتمام الوجداني والمرونة وانبساط الذهن والرؤيا البعيدة والانسجام والتناغم بين الوعي واللاوعي وكل ما يوحد الشخصية ويوازنها وكل ما يسمح بالتحليل الذهني. (١١،ص٢٦ – ص٣٨).

المبحث الثالث
آراء الفلاسفة لمفهوم الإرادة

أثارت الإرادة انتباه الفلاسفة والمفكرين وشغلت بالهم، وسميت الفلسفات القديمة الإرادة بمسميات الهوى أوالعاطفة أوالرغبة أو النزعة ، وتفرعت مذاهبها ودرست على أوجه عدة ، فلسفياً وأخلاقياً ولاهوتياً ونفسياً واجتماعيا.

تركت الإرادة بصمة في تفكير (سقراط وأفلاطون) من خلال آرائهم بشأن الإرادة، والتي ردت اسباب ارتكاب الإنسان فعل الشر والمعاصي دون إرادة لعدم معرفته للخير وجهله به. في حين يزعم (أرسطو) ويقر بإرادة الإنسان لفعل الشر وعلمه به لتواجد العقل، وباستطاعته فعل الخير لأنه يمتلك إرادة الخير، وفي حال رافق الحكم الواصل إليه في ظرف ما ، كان هناك اختيار للشر أو الخير. ومن هنا كانت الإرادة الخيرة والسيئة. فشخصية (أوديب) ترتكب فعل الشر دون علم والجهل المعرفي لفعل الإرادة . في حين يتموضع فعل الشر وبإرادة معرفية في شخصية (كريون) في مسرحية (أنتجونا) ، وشخصية (فيدرا)، وشخصية (شايلوك) في مسرحية (تاجر البندقية) ، وشخصية (ياغو) في مسرحية (عطيل). وشخصية (المرأة الطيبة من سيتزوان) مثال إرادة الخير . وناقش (أوغسطين) حرية الإرادة وتأكيده حرية الإنسان في الاختيار، فالإنسان حر في إرادته وتكمن هذه الحرية في مبدأ الاختيار في أن يؤمن أو يكفر، وقد منح الله الإنسان العقل الذي هو مبدأ الحرية.(١٥،ص١٦). ويعرف (أوغسطين) حرية الإرادة الإنسانية بأنها " القدرة على قبول تصور ما أو رفضه ". (١٦،ص٣٧). وقد سبقه (أسكوت أويجين) وفعل القدرية وليس الحرية، مؤكداً أن فعاليات البشر لم تقدر قدراً قبلياً من حيث الشر، بل قدرت من حيث الخير والإرادة ذات نزعة الشر وحدها التي تفعل الخطيئة وتصدر منها، وفعلها هذا ليس ايجابيا، بل هو نقصان وعدم تكامل للخير. (١٧، ص٥٠، ص٥١). ولعل شخصية (ميديا) مثال حي لمثل هذا النوع من الإرادة . ويربط (بونافنتورا) الإرادة مع القدرة لارتباطهما الوثيق، وهي" تخصيص الممكن بأحد أوجهه الممكنة، والقدرة هي تحقيق هذا الوجه الممكن الذي ميزته الإرادة ". (١٧،ص١١٥). ويرى القديس (أنسلم) في حرية الإرادة بأنها القدرة على المحافظة على الإرادة المتحيزة ، وهو يؤمن بفلسفة (أوغسطين) ومنهجه قائم على الإيمان

لكي يفهم ، ولعل مسرحيات (كورني) و (راسين) مثال لمثل هذه الإرادة ، ذلك بتفضيل شخصياتها الواجب على المصالح الشخصية . في حين يرى (أونسليم اللاؤني) في حرية القرار، هي القدرة على فعل الخير أو الشر . وميز (والتر) بين اللذة السلبية التي تنزع نحو الخير، وبين الإرادة الحقيقية الحاملة لمبدأ الحكم والتمييز والاختيار. فهي ترفض بذلك أو تقبل توجيهات العقل باستقلالها. وساير (جيوم) و (لامار) هذا الرأي، ذلك بامتلاك الإرادة أتجاهين وقدرتين، الاتجاه الأول سلبي في استيعابها توجيهات العقل وتتلقاها. والاتجاه الثاني ايجابي المتمظهر باستقلاليتها وحياديتها بتوجيه نفسها، فضلاً عن تحريك باقي أجزاء الجسم . ووقف (أيجيدوس) موقفاً وسطاً محاولاً التوفيق بين رأي (الأكويني) وبين رأي (جيوم) و(والتر) ومركزية العقل وتوجيهاته للإرادة لعمل الخير، فهو يبين الإيمان للإرادة وتقديم العقل لها فعل الخير المطلق، وما عليها إلا الأخذ بها وعدم التنطع، وهي في الوقت نفسه حرة ومستقلة في آليات التحكم في أفعالها وفي ديناميات الاختيار والتفريق والتمييز بين مستويات الخير ودرجاته . ويضع (دونس أسكوت) الإرادة فوق العقل لأنها متمركزة ومتحكمة ويعطي .(وليم أوكاني) حرية اختيار مطلقة للإرادة لقدرتها الفعالة لقبول أو رفض توجيهات العقل، وحرة في اختيار نزعاتها وحرة في وسائلها التي توصلها إلى غاياتها. (٢٠، ص٣٥٧. ص٣٧٣) و (١٥،ص١٦، ص١٧).

يحيل (ديكارت) الإرادة وظيفة ثانوية لنفس، وأن العقل والفكر هو الذي يحكم الإرادة ويبعد العالم الموضوعي وتأثيرات الظرف الخارجي عن فعل الإرادة، ويرى فيها أنها " تقوم فقط في أنه من أجل أن نؤكد أو ننفي ، وأن نواصل أو نتجنب الأمور التي يفرضها العقل علينا – نحن أن نفعل بحيث لا نشك أبداً في أن قوة خارجية ترغمنا على ذلك " .(١٥،ص١٥). وبحث (كانت) دور الإرادة في حقل الأخلاق وعلاقتها بالخير والشر والبحث عن النيات . والإرادة المحضة هي مقابلة للعقل الخالص المحض . والإرادة لدية هي القدرة على أنتاج مواضيع مناظرة للإمتثالات، وهذه القدرة والقابلية تتركز في تحدد ذاتها بذاتها وتحقق المواضيع، أي القدرة أن تكون علة ، القدرة على الخلق والإبداع . ومن الممكن أن يحققه فعل العقل العملي المحض. فالإرادة هي عين الواجب، ويجب على الفرد ، لأن هذا واجبه . (١٥،ص١٨).

ووضع (شوبنهور) الإرادة مكاناً عالياً في حقل الميتافيزيقيا، واحتلت تموضعاً مهماً في فلسفته ، إذ يرى بأن العالم امتثال لتتمفصل في محاور عديدة وحقول متنوعة، ولم تقتصر في مجال الأخلاق، بل دخلت في تصور الوجود والكون والعالم ، ومن صفاتها أنها واحدة وغير قابلة للفناء وهي حرة ومتكاملة في كل ظاهرة ، وأن تباين مستوى التحقيق واختلفت درجاته، والإرادة ليست وظيفة أو صفة يتحلى بها العقل أو الفكر، بل هي الشيء في ذاته، وهي قوة طائشة تدفع بالضرورة الموجودات كافة نحو الفعل ، وبقوتها الطائشة العمياء العارمة ورغبتها الجامحة واتجاهها العنيف والحاد ، حطمت النزعة العقلية وملكاتها في تفسير تصرفات الإنسان. وحركات الجسم وفاعلياته التي يقوم بها مردها إلى الإرادة وفعلها وحضورها والعكس صحيح، فالجسم تعبير عن الإرادة، وهي نقطة الشروع والانطلاق في مجمل ما تقوم به، والجسم هو المفتاح، وكل التأثيرات الباطنية والنشاطات النفسية مصدرها الإرادة . والجسم هو الإرادة وفق منظور (باطني)، والإرادة هي الجسم وفق منظور (خارجي). فكل حركة للجسم هي حركة للإرادة والتي تؤكد نفسها بوساطته وعن طريقه ومن خلاله. وكل فعل من أفعال الإرادة يتمظهر في صورة حركة جسمية، وبذلك تصيرت شيئاً ظاهرياً وموضوعاً للعيان وهي جوهر وجود الإنسان، وبذلك تكون الإرادة معرفة قبلية والجسم معرفة بعدية. والإرادة بشموليتها وكليتها هي إرادة الحياة لكل تمفصلاتها. وهي مبدأ الوجود والخلق وجوهره غير الغائي ، وهي عند (شوبنهور) سابقة على العقل لأنها تخلقه وتحكمه وهو تابع لها. وهي غالباً ما تتمظهر نتيجة حاجة أو بمعنى أدق الم، وإشباعها هي وضع حداً لها، لكن تتمظهر حاجات مؤلمة جديدة أخرى، وهي في دينامية مستمرة ومتوالدة. والإرادة عند (شوبنهور) إرادة فردية ذاتية خاصة، حين يجهد الفرد غريزياً نفسه لتحقيق مثاله ونوعه ، ونضاله وكفاحه ضد الآخر لنيل

صورة الحياة الخاصة به .(ينظر ١٢، ص١٨٥، ص١٨٦) و (١٣،ص٢٣ –ص٢٦) و (٢١،ص٣١٩).

وتوصف الإرادة عند (شوبنهور) بأنها إرادة ذات أمل تتلبس فيه ، لأنها تنطلق من ذات الفرد وتتجه إليه بإرادته ، وفي حال تعرف الإرادة على ذاتها يتمظهر ذلك الأمل . فالإرادة عند (شوبنهور) هي الحفر والبحث عن المعلوم ليكون مفتاحاً لأية معرفة أخرى ، ومن ثم الانطلاق الذي يفضي إلى الحقيقة . ولابد من البدء بالذات لآجل إدراك الطبيعة وفهمها ومعرفة الوجود وترتيب العالم، فالإرادة عنده نشيطة وديناميـة ، بوصفها رغبة أو لا رغبة ، لا يحتاج تنفيذها مشقة وجهد وفاعلية عالية . ومتما توشحت هذه الإرادة بالأمل أمكنها الوصول إلى غاياتها لاندفاعها وديمومتها وديناميتها الفاعلة باستمرار. والتي تغادر الكسل والملل والضعف .(٢٢،ص٣٨) و (ينظر: ١٢، ص١٨٨، ص١٩٧). وبذلك أضحت الإرادة عند (شوبنهور) إرادة إيجابية لقدرتها وفاعليتها وديناميتها على التغيير وإمكانية أعادت صياغة العالم، لحملها الديمومة والاندفاع والقوة والأمل. وتقف شخصية (بروميثيوس) مثالاً حياً لإرادة الحياة عند (شوبنهور).

ترتكز الإرادة عند (نيتشه) كأحد مرتكزات محاور فلسفته المتشائمة والتي عدها بمثابة سلاح فعال موجه بنقوداته للنواميس والأعراف الدينية المقيدة للإنسان بأطر أستاتيكية وقوالب ثابتة جامدة ومفاهيم مجردة والتي تحجمه وتضيق عليه وتحد من حريته. ومتما أمتلك الإنسان إرادته وبقوة، كان بمقدوره إثبات وجوده وماهيته وأن سحبت معها نوع من المجازفة واللاعقلنة في نزوع أفعالها اللاإرادية. والمهم عند (نيتشه) هو ذلك الإنسان المتحرر من كل الإملاءات والقيود والخناقات التي تفرضها القوانين الدينية والوضعية والفلسفية التي تحد الإرادة وتقمعها وتكبح فورتها، فهو ينكر الإنسان العادي ذو الوجود الثابت بعوالم العقل، بل هو يبحث عن الانسان المتفوق الحر .(١٨،ص١٤٣٩). وتقف شخصية (أنتجونا) مثالاً لإرادة (نيتشه) بصمودها وتحديها لسطانها وقدرها، وشخصية (نورا) في مسرحية (بيت الدمية) وحرية اختيارها الفردي في تحطيم المفاهيم المجردة والقوالب الثابتة التي تحد من طبيعة الإنسان وحريته، وشخصية (كاليجولا) وإرادته الحديدية والصميمة في نيل وجوده ومثله وتصوراته بقوة ، وشخصية (فاوست) إنسان (غوته) الذي كاد يقترب من إنسان (نيتشه) المتفوق بذاتية شخصيته وسلوكياته.

أستبدل (نيتشه) إرادة الحياة عند (شوبنهور) بإرادة القوة ، لأن الجوهر العام هو النزوع إلى مزيد من القوة . ويتجه (نيتشه) نحو الإنسان مباشرة، وأن أساس العالم كامن في الإرادة، الإرادة القوية ذات الرغبة اللاشعورية والمميزة بصورة فطرية عند الإنسان، وهي القوة المحركة العامة والشاملة لمختلف الأفعال البشرية وللعملية التاريخية ككل . لأن الحياة تتوق الىالإنتشار والغزو، والقوة لا تعني القسوة والدمار، إذ يمازج (نيتشه) مع إرادة القوة مبدأ التسامح ذلك بانتصار الفرد على ذاته .(٢١،ص٣١٩) . ولفعالية الإرادة وتحققها وديناميها وتوالدها وقفزها فوق المفاهيم والطروحات المتحجرة ، باتت الإرادة عند (نيتشه) و (شوبنهور) علة أولى ومبدأ قبلي وعالم الظواهر تعبيراً أو إمتثالاً لها .

يعارض (نيتشه) فكرة (شوبنهور) في إرادة الحياة وتوق الكائن الحي إلى البقاء، بل هو توق إلى الإزدهار والحضور والتمركز ، لأن الإرادة قوة وليست حياة . فالإنسان الذي أمتلك إرادة القوة، أمتلك أفعاله التي يوجهها نحو قصد ، إنسان ذو هدف ورسالة ليست قسرية مفروضة عليه من قبل الآخر، فهو في سعي دائب نحو ذلك الإنسان المتفوق ، لتساميه على نفسه بالإنتصارعلى ذاته عن طريق أثراءها علماً وفلسفة .(١٨،ص١٤٣٨) .

الإرادة عند (نيتشه) أساس كل فردية وجوهر وجودها الأصيل ، لأنها مرتكزاً لإثبات الذات وتأكيدها ، والتي من خلالها يتفرد الفرد وينماز عن الآخر. ويرى فيها ومن خلالها الحفاظ على الحياة وتأكيدها، وفعلها يتسم بالمغامرة والمخاطرة ، وهي لا تناضل من أجل شيء لا تمتلكه أو خارج نطاق ذاتها، بل أمكانية الحفاظ على الذات وتجاوزها، وهي بذلك تقفز فوق المعارف الصورية.(٢٤، ص١١٤، ص١١٥). وهو بذلك يعارض أصحاب المذهب العقلي، ويناهض إرادة الاعتقاد العامة

لـدى (روسـو)، والفكـرة المطلقـة الهيجليـة، وإرادة الحياة عند (شوبنهور).

ويـرى (فختـه) صـاحب المـذهب الإرادي بـأن الفعاليـة الأخلاقيـة تتأسـس فـي الالتـزام الحـر، الإرادة للمثال الإيجابي ، وهذا الالتزام يحيلها تحدياً للحاجات المفروضة على الإنسان، وتحدياً لظروفه التجريبية . وباتت الإرادة الصالحة هي التي تصبو نحو الغايات والأنمـاط العليـا .(١٨، ص٩٧٤). ويعطـي (فختـه) الإرادة مدلولاً أنطولوجياً في تأكيده الإرادة تأكيداً قوياً، بوصفها المرشد والموجه نحو المبدأ الأول للوجود ويحيلها علة ، إذ يقول: " أني أجد ذاتي، من حيث هي ذاتي كإرادة فقط " .(١٥،ص١٩). وهو بذلك ينطلق نحو الذات الفردية الخالصة، كما هو الحال عند (شوبنهور) و(نيتشه) من حيث فلسفة الفرد، فالإرادة تهب الفرد سبيلاً لمعرفة المعنى الحقيقي للذات المحضة الخالصة وادراكها، إذ يقول (فختـه): " أن التجلي الوحيد الذي أستشعر به في الأصل هو الإرادة، وفقط حين أشعر شعوراً جلياً بأنني أريد، هنالك فقط أصبح واعياً بذاتي " .(١٥،ص١٩). وهو يفترض (كوجيتو) آخر في الوجود والشعور بالذات من خلال مقولة (أنا أريد ، أنا أشعر بالذات). ولعل شخصية (جان دارك) مثالاً نابعاً لهذه الإرادة والتي توجهت نمو غايات عليا ، لاعتقادها وإيمانها بذلك فـي التوحـد مـع الله . وشخصـيتا (فلاديميـر و ستراجون) في مسرحية (في إنتظار كودو) مثال حي لإرادة الاعتقاد المتوجه نحو مثل وغايات عليا في انتظار المنقذ والمخلص.

وتتأثث الإرادة والمشيئة عند (أسبينوزا) وتتكون بما لم يوجد وتفترض أشياءاً تنقص الفرد في الحاضر ويفتقدها . و هو يساير (ديكارت) في تموضع العقل قبل الإرادة في الفرد، لحمله قدرة التفكير، فالعقل مبدأ الوجود وبه يصل الفرد إلى اليقين، وأعتقد بأن الجسم والعقل شيء واحد ، لأن الفاعلية لا بد من أن تتبعها حركة . في حين رأى (ديكارت) أن الجسم خلاف العقل، إلا أنه لا يمكن التصور بإنفصالهما .(١٨، ص٧٢٣). و (ينظر: ١٩،ص١٩،ص٢٠)و(٢٤،ص١٢. ص١٨).

تتأثث الإرادة عند (شلينج) من رؤيته في تفسير العالم وفق مفهومها، وبدون الإرادة وغيابها لا يتمظهر أي نشاط أو فعالية أو جهد محض خالص يتميز من الإنتاج . ولكان نشاط العقل والإنتاج شيء واحد، ولا بمقدور العقل أن ينظر إلى إنتاجياته، بوصفها موضوعاً للتأمل، ولما وجد إدراك ووعي ، ولما وجدت المعرفة في أساسها. فالإرادة حاملة لنظم الإمتثالات كافة . فالمعرفة تتوقف بتمظهر الإرادة، ولا تتوقف الإرادة عليها، لأنها حاضرة ومتمركزة ومهيمنة على كل معرفة، لأنها بدون اشتراطات، ويقول (شلينج): (أن الإرادة هي الشيء الوحيد الذي لا يمكن إدراكه ولا إنقاذه والبرهنة عليه ، وفي الوقت نفسه هي أبين الأمور وأكثرها مباشرة في علمنا) وبغياب الإرادة يغيب الشعور والوعي، وينعتها (شلينج) بأنها الشرط الأعلى للشعور بالذات ومنبعه، وفي الإرادة المطلقة يشعر العقل بذاته أو يعاني ذاته بذاته.(٢٥،ص٢١٦، ص٢١٧).

يؤسس (مي دي بيران) مبدأ الوجود على فكرة (كوجيتو) إرادي (أنا أريد، أنا أفعل، فأنا موجود) فالتفكير منصب بالفعل وليس بالفكر أو الذات، وهي انطلاقه للشعور بالنفس كعلة وقوة فاعلة، ومن ثم باتت الذات ظاهرة تتمظهر في الفاعلية والجهد والنشاط، وهي واحدة وحرة وعلة وقوة. (١٢،ص٢١٠). ويرفض (بيران) تأسس المعرفة بوساطة الحدس ، لأن ذلك إنكاراً وإجحافاً لفاعلية النفس وجهدها الإرادي التي تتوقف عليها المعارف والأفكار.

يميز (بيران) بين الإرادة والغريزة والوعي ، وهي تمرحلات الفعل الإنساني، ولا تتمظهر الإرادة إلا باكتمال الوعي، وبدونه تتموضع كحركات غريزية مكتسبة بفعل الحاجة العضوية، وبتواجد الوعي تتحول إلى حركات انفعالية إرادية مرتبطة به . والإرادة حاملة للفعل والتحقيق ، في حين تكون الرغبة مجرد أمنية متحققة أم لا ، والإرادة حاملة لهدف يرتبط بعلاقة جدلية لتحقيقه بين الإرادة والوعي . (٢٦،ص٨٢ . ص٨٤).

نقل (بيران) مشكلة الإرادة من الميتافيزيقيا إلى ميدان علم النفس، فالفاعلية والجهد الذي تبذله الإرادة بغية غلبه مقاومة الجسم، المادة المتعينة في الذات الإنسانية، فالإنسان يتجلى من خلال إحساسه الباطن بالفاعلية والجهد والحركة الإرادية وإنتاجياتها وأفعالها

المدركة من قبل النفس في الباطن نتيجة نشاطها. فالإرادة الأصيلة هي إنكار العقل وتوجيهاته، وهي مصدر الحرية . وهو يخالف (ديكارت) في أولوية العقل والفكر على الإرادة ويقترب من (شوبنهور). (١٥،ص١٩).

والإرادة عند (فوية) نزعة أساسية تؤثر في حياة الإنسان العقلية والشعورية ، ذلك من خلال ميل الكائن الحي إلى إرجاع كل شيء إلى ذاته وشعوره بأنه المركز وأن الآخر بتفصلاته كافه ، وسائل إجرائية يتعكز عليها في فعله ومضاعفة قوته ووعيه. وهي نزعة ذاتية أنانية غيرية، لأنها تتطلب التفكير في الآخر والشعور بذواتها لإثبات ذاته قبالتها.(٧،ص١٥٦٥).

ومن اصطلاحات (ويليم جيمس) بشأن الإرادة هي إرادة الإعتقاد، وهي التسليم باعتقادات نهائية متجذرة لا يستطيع العقل برهنة صدقها، لكنها في الوقت نفسه هي مقبولة ومتموضعة لانسجامها وتوافقها وانتظامها وعدم تناقضها، ثم تتمظهر لحظة حسم المتناقضات الموجودة في الوعي بوساطة فعل الإرادة الواعي . ومن جملة هذه الاعتقادات الثقة بالنفس، فهي نافعة وتعطي دفق وحيوية لحاملها وترشده وتعينه على مبتغاه بنجاح .(٤،ص٦٠). فإرادة الاعتقاد هي إرادة قبول لمعتقد لايرفضها العقل لعدم استحالتها ، لكنها في الوقت نفسه لا يمكن تسويغها بالعقل، ولا وجود لدليل أو برهان لشرعيتها، إلا في حدود نتائجها النفعية الناجمة عنها.

والإرادة عند الأشاعرة، صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع في وقت معين، والإرادة صفة مخصصة لأحد المقدورين بالوقوع ، وليس ميلاً يتبعه وليست مشروطة باعتقاد النفع . وهي ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح، وهي أعم وأشمل من الاختيار ، لأنه ميل مع تفضيل ، وأن كل اختيار هو إرادة. (٣،ص٣٣).

والإرادة عند السالكين والمتصوفين هي ابتداء الكد واستدامته وترك الراحة، إذ يقول (الجنيد): " الإرادة أن يعتقد الإنسان الشيء ثم يعزم عليه ثم يريده، والإرادة بعد صدق النية ". (٣،ص٣٤). وقيل هي التوجه الكامل والمطلق نحو الحق والأخلاق والابتعاد عن الخلق ، وهي بداية المحبة . وهي عند (أبن سينا) " أول درجات العارفين ما يسمونه هم الإرادة، وهو ما يعتري المستبصر باليقين والبرهان، أو الساكن النفس إلى العقد الإيماني، في الرغبة في أعتلاق العروة الوثقى، فيتحرك سره إلى القدس لينال من روح الاتصال. فما دامت درجته هذا فهو مريد ". (٤، ص٦٢). والإرادة عند (الفارابي) هي في اختيار الإنسان الأشياء الممكنة الحدوث أو تقع إرادته على أشياء ليس بالإمكان حدوثها أو إمكانها ، كإرادة الإنسان وهواه في عدم موته وفنائه .(٤ ، ص٦٠ ، ص٦١). لكن الإرادة في حدود إمكانيات الكائن البشري، تقتضي طلب الشيء الممكن وجوده وإحداثه دون محالة بمشيئة الإيجاد.

باتت الإرادة مفهوماً ظاهراً أستخدم في عديد من الدراسات الفلسفية والنفسية وتم إسقاطه في الفن بشكل عام والمسرح بشكل خاص، لاسيما الأدب المسرحي بتراجيدياته، والتي لم تكتف بفعل الاكتشاف والتعرية، بل أنها تتمرد على الإرادة بقفزها فوق رغبات الجسد ومتعه الحسية، فالتراجيديا وكما يقول (شوبنهور) " تضعنا وجها لوجه مع المعاناة الرهيبة، وفي مواجهة عواطف وضغوط الوجود البشري، ونتيجة لذلك فهي ترينا خواء كل جهد إنساني وتحركنا بعنف أما إلى تحرير إرادتنا من صراع الحياة، أو تلمس فينا وترا يوقظ بأنفسنا شعوراً مشابها " .(٢٧،ص٩٧). فالتراجيديا كما يفهمها (شوبنهور) هي تعبير عن جوهر الحياة لهدفها في تصوير الجانب المأساوي في الحياة والتي تكتسب أهميتها لحظة تموضع الشهوة ومشاعرها وسيطرتها في حياة الإنسان، ولتأثيرها في أحالته شخصاً مأساوياً. فإرادة الحياة محركة لتلك الشهوة التي هي جوهر الإنسان. فالألم حقيقة الحياة والشر قانونها، والتراجيديا وليس غيرها من حيث هذه الحالة الواقعية للعالم . فالتراجيديا خير تعبير عن إرادة الحياة، و(شوبنهور) يقسم الأعمال التراجيديا وفقاً لتوكيدها لإرادة الحياة بشخصياتها أو أفكارها . (٢٨،ص٢٣٠، ص٢٣١).

المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري:

١ – تتموضع الإرادة في سلوكيات الشخصية كصورة لفاعليتها وديناميتها بصيرورة متوالدة، لتحقيق نزعات تتطلب الإنجاز أم عدمه وفقاً ما تمليه المصلحة الذاتية أو العامة.

٢ – الإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل لطلب الشيء أو شوق الفاعل إلى الفعل، والنزوع والإشياق والميل والمحبة والقصد ، لاعتقاد النفع أو الظن به. واتخاذ القرار بمعرفة الذات.

٣ – الإرادة هي القابلية في اختيار نزعة أو غاية أو هدف من بين عدة أهداف متصارعة الذي يكون في شدته شعوراً حاضراً لحظة إنشاء الموازنة بين تلك الغايات والأهداف أقوى بجانب الغاية المختارة.

٤ – الإرادة جهد دينامي فعال يتجه نحو غاية معينة ويتموضع فيها سواءاً كانت عقلية أم غير عقلية، واعية أم غير واعية شعورية أم غير شعورية.

٥ – الإرادة هي الاستعداد الواعي للفرد للقيام بالفعل والتصميم المسبق لإتيانه، مهما كانت العقبات والمصدات التي تعترض هذه الإرادة وفعلها للوصول إلى تحقيق أهدافها.

٦ – الإرادة أما أن تكون نزعة عقلية تتوجه بتأملات العقل، أو تكون قوة قائمة بذاتها ومستقلة عن قوى النفس والعقل. إذا تنطلق من عنادياتها وليس من مصدر آخر.

٧ – أنواع الإرادات حسب نظرة الفلاسفة والمفكرين .

أ – إرادة ارتكاب فعل الشر دون علم ومعرفة والجهل بالخير.

ب – إرادة للقيام بفعل الشر وعلمه ومعرفته بالخير ويمكن أن يفعله في حال رافق الحكم الواصل إليه في ظرف ما .

ج – إرادة حرة لتأكيد حرية الإنسان في الاختيار الإيمان أو الكفر.

د – الإرادة السلبية في إستعابها توجيهات العقل وايجابية في استعلائها واستقلالها وحياديتها بتوجيه نفسها .

هـ – الموازنة والتوافق بين مركزية العقل وتوجيهاته واستقلالية الإرادة وحياديتها .

و – الإرادة ذات نزعة الشر فعلها الخطيئة وهي نقصان وعدم تكامل الخير.

ز – ربط الإرادة مع القدرة، وهي اختيار الممكن وتخصيصه والذي تميزه الإرادة والقدرة في تحقيق الوجه الممكن .

ح – أولوية العقل وتوجيهاته قبل الإرادة التي هي وظيفة ثانوية للنفس والمحكومة بالفعل.

ط – الإرادة هي القابلية على نتاج مواضيع مناظرة للإمتثالات، وهي أخلاقية تتعلق بالشر والخير.

ي – الإرادة هي إرادة الحياة ورد فعل تجاه النواميس والمفاهيم المجردة والقفز فوقها.

ك – الإرادة الصالحة والسليمة والصحيحة هي التي تتوجه نحو الغايات العليا .

ل – أولوية العقل على الإرادة التي تعنى وتهتم بما لا يوجد، وافتراضها أشياءاً تنقص الفرد في الوقت الحاضر.

م – غياب الإرادة ، غياب نشاطات الإنسان وفاعلياته وغياب الجهد المنتج، لأنها حاملة للإمتثالات كافة ومتمركزة في كل معرفة لأنها غير مشروطة .

ن – الإرادة مبدأ الوجود والشعور بالذات كعلة، وهي مصدر الحرية، وجهدها في غلبة مقاومة الجسم وحركاته بوساطة الوعي واكتماله.

ش – الإرادة نزعة أساسية ذاتية فردية أنانية غيرية لانشغالها في أثبات الذات أمام الذوات الأخرى وهي تؤثر في حياة الإنسان العقلية والشعورية.

ك – إرادة الاعتقاد والتسليم باعتقادات نهائية ومتجذرة.

ل – الإرادة صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع دون ميل أو اشتراط بالنفع بل الترجيح .

س – الإرادة ابتداء المشقة ونهاية الراحة، واعتقاد الشيء والعزم عليه بعد صدق النية.

ت – الإرادة اختيار الأشياء الممكنة الحدوث.

الفصل الثالث
إجراءات البحث

إجراءات البحث :-

يتناول هذا الفصل الإجراءات التي أتخذها الباحث للإجابة على تساؤل مشكلة البحث، ولتحقيق أهدافه والتوصل إلى النتائج. وتضمنت الإجراءات:-

- مجتمع البحث:- يتكون مجتمع البحث من المسرحيات التراجيدية الشكسبيرية كافة .
- عينة البحث: - تكونت عينة البحث من أربع مسرحيات تراجيدية وهي:-

١- مسرحية هملت
٢- مسرحية عطيل
٣- مسرحية الملك لير
٤- مسرحية مكبث

وأختار الباحث عيناته بطريقة قصدية للمسوغات الآتية:-

١- تعد هذه المسرحيات الأربع ممثلة للمجتمع الأصلي حسب رأي الباحث .
٢- تعد هذه المسرحيات الأربع قمة ما كتبه (شكسبير) في مجال المسرحيات التراجيدية .

- منهج البحث:- استعان الباحث بالمنهج الوصفي (التحليلي) وفقاً لما فرضته آلية البحث ومشكلته وأهدافه بغية التوصل إلى النتائج وتحقيق أهدافه.
- أداة البحث:- أعتمد الباحث في تحليل عيناته على المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري، بوصفها أداة تحليلية لعينة البحث.
- تحليل العينات

أسم المسرحية : هملت (٢٩)

مما لا ريب فيه من أخذ مسرحية (هملت) مكانة مهمة وتموضع بارز في تاريخ الأدب المسرحي بشخوصها وبشخصيتها الرئيسة (هملت) التي جسدت وتجسد تلك النزعات النفسية التي يعاني منها الإنسان، لتنفتح على نفسيات عديدة مغادرة إطار الشخصية الضيق، ليكون (هملت) نحن ونحن (هملت)، ولا تنطلق أنثيالات شخصية (هملت) النفسية من عنادياتها قدر اصطدامها بقدرها الاجتماعي والحياتي، على الرغم من أن صراع البطل التراجيدي الشكسبيري يتمحور داخل نفسه وعقله وليس مع قدره ذو القوة الخارجية . فالمصير لا ينفلت عن نفسه وعقله وارتكابه لأخطائه ليس قدرياً قدر كونه خطأً إرادياً، لذلك باتت إرادته الحرة ليست من خلال ردود الأفعال لذلك الخطأ دون اختيار، ومن ثم لمجال الهروب أو الاعتراف به، و(هملت) وفقاً لذلك في صيرورة دينامية ، من الإنتقام إلى فكرة الحياة والموت، إلى الوجود أو العدم، ومن ثم التيه الذي لا عنوان له، وهو صائر إلى الجنون بعد معاناة مريرة وحصار نفسي وعقلي، وصولاً إلى تعبئة كاملة وفهم عميق لمعنى الإنسان والحياة ، فالإرادة التحملية وقوتها عند (هملت) أفردته رجلاً مجنوناً وحكيماً.

بولونيوس: (جانباً): أن هذا جنون ، ولكنه جنون بأسلوب

هملت: إلى قبري ؟

بولونيوس: (جانباً) ... ما أملأ أجوبته في بعض الأحايين ! فيها براعة كثيراً ما تتفق للجنون وتعصي على العقل والمنطق ص٧٧

يغور (شكسبير) في أعماق النفس ومجاهل العقل، باحثاً ومنقباً لكل ما تحمله نفسية الإنسان وعقله من علم وثقافة وشجاعة ونبل وكراهية وحقد وحرية وإرادة وتردد وسخرية ودهاء ومكر وحب وغيرة . التي تمظهرت في نفسية (هملت) وعقليته، ومن ثم بات صراعه صراعاً نفسياً وعقلياً، صراع المدركات الحسية والتأملات العقلية، بين الواجب القدري المفروض قسراً وبين الطبيعة الإنسانية بسجيتها . فـ(هملت) يندب حظه العاثر آنة تكليفه مهمة الانتقام من قبل طيف والده الملك المقتول غدراً على يد عمه الملك (كلوديوس).

وهذا لا يلغي كلية الإرادة الهملتية ، فهي حاضرة ومتموضعة ومتمركزة ، رغم صراعه المرير والعصيب نفسياً وعقلياً، لتمظهر صراع المتناقضات في شخصيته وانتقاله من يوتيبيته إلى القلاع، من العلم والثقافة إلى الثأر والانتقام والدم .

هملت: سجن ، ممتاز، فيه ردهات وزنازن وسراديب . والدانمرك من أسوأها . ص ٧٨

فهو يحمل الإرادة والقرار والخلل يكمن في التنفيذ ، وها هو يتبع طيف والده بشجاعة وأقدام، وحمله مهمة الثأر والانتقام لمقتله وهي مهمة بعيدة عن أخلاقياته . هملت:... لا أنساك؟ أجل من لوح ذاكرتي سأمحو كل تدوين سخيف أحمق، حكم الكتب كلها، كل شيء وكل انطباع مضى ، مما نسخ الشباب هناك وسجلته الملاحظة، ولن يبقى في كتاب ذهني إلا أمرك وحده، دون غيره،... .
ص٥٩

لكن هذه الإرادة الحاضرة والمتموضعة فيه يصبيها الضعف لمصدات وواعزات قهرية، تحيل تلك الإرادة وفعله العقلي المتوهج عزماً وأقداماً ، يحيله هروباً نفسياً داخلياً واضطرابا ، فاقداً ثقته بنفسه وبالعالم الذي يحيطه.
هملت:...الزمان مضطرب..ياللكيد اللعين أن أكون أنا قد ولدت لأصلح منه اضطرابه
ص٦٣

يمتلك (هملت) الأسباب ويعلم الدوافع والمثيرات ومسبباتها ونتائجها، لكنه يتقهقر ويتراجع ويتردد ويضمحل وينزوي منفرداً ضائعاً لترهات شعورية وارهاصات عقلية، فاقداً إرادته وهو في قمة توثبه وعزمه الإرادي وفعله.
هملت: أأكون أو لا أكون؟ ذلك هو السؤال . أمن الأنبل للنفس أن يصبر المرء على مقاليع الدهر اللئيم وسهامه أم يشهر السلاح على بحر من الهموم،... .

ص ٩٣

ينعت (هملت) نفسه بأرذل الصفات ويكيل لها اللوم في تقاعسها في تنفيذ المهمة التي أنيطت اليه من قبل والده، وكيف أن إرادته انهارت لضعف نفسي وتردد عقلي، ولما آلت إليه قدرته من فتور لحظة مشاهدته (الممثل) أثناء تدريبه للمشهد المسرحي الذي سيقدمه .
هملت: ... أي نذل أنا ، أي عبد قروي ! أليس من العار على أن هذا الممثل ، في رواية من الخيال ، في حلم من ألالم ، يكره روحه على تلبس وهمه فتحتدم،... .
ص٨٨

فالإرادة وفعلها عند (هملت) آنه تهرب في لحظة تحت ظرف يدفع به إلى الهرب وعدم الأقدام ، فاقداً الاندفاع . والإرادة حاضرة ومتوافرة لحظة الاختيار بالقيام بالفعل أو عدمه . فالتنفيذ متموضع في آلية التفكير وبين الشروع بالفعل الإرادي، لسبب يبرره (هملت) لنفسه ومقتنعاً به ويلتزم أتجاهه . فالفرصة سانحة ومواتية لتنفيذ المهمة بالانتقام لحظة صلاة عمه وطلبه الاستغفار، وهي لحظة يهرب فيها (هملت) مبرراً بأنها غير المناسبة وغير العادلة قياساً لطريقة قتل والده مع خسة ودناءة عمه .
هملت: بإمكاني الآن أن أفعلها ، كذا وهو يصلي ، وسأفعلها الآن . ويذهب إلى السماء ، فأكون قد انتقمت ؟- فلامحص الأمر. نذل يقتل أبي غيلة ، ولذا فأني ، أنا أبنه الوحيد، أرسل هذا النذل إلى السماء لكان ذلك خدمة ومكافأة ، لا انتقاماً ... .
ص١١٧

وهذه الآنه للإرادة لحظة حضورها وتموضعها، لا يتردد (هملت) ولا يتوانى على القيام بالفعل عنوة وجهراً لا يخاف ولا يعبأ بالآخر ولا بنفسه، ولا يبرر ولا يتردد، فالمشيئة والعزم والتنفيذ قائم في حالة تهيأة الظروف والمسببات والدوافع والمثيرات لآتيان الفعل ، فهو يغادر التأمل العقلي وتوجيهاته ، مسترشداً بإرادته الحرة الطافحة العمياء للتنفيذ التي لا يصدها شيء. فيقتل (بولونيوس) دون تردد من وراء الستار وإن كان لا يعرف هويته، ومواجهته لأمه وصراحته الجريئة بتقريعها بأعنف الكلمات.
هملت: ما هذا ؟ أجرذ ؟ ميت ، ميت بدرهم !
بولونيوس: ... آه قتلني !
الملكة: يا ويلتاها ! ماذا صنعت ؟
هملت: لست أدري . أهو الملك ؟
الملكة: يا للفعلة الدموية الهوجاء !
هملت: فعلة دموية تكاد يا أماه بسوئها توازي قتل ملك وزواجاً من أخيه . ص١١٩

يتغلب (هملت) بإرادته على مكيدة عمه بإرساله إلى إنكلترا وتزوير الرسالة التي تأمر بقتله، وإرادته الجريئة في الموافقة على مبارزة (ليرتس) وتحديه وهو المحمل حقداً اتجاهه لقتله أباه (بولونيوس) وسبباً لوفاة أخته (أوفيليا) غرقاً، بناءاً على مكيدة ومؤامرة دبرها

عمه ليبعده عنه ، لأنه صار خطراً أو عبئاً عليه ومصدراً لخوفه وقلقه على العرش والسلطة ورهانه في المبارزة لصالح (ليرتس).

هملت: أنني مقيم على ما نويت . وما نويت يتفق ومشيئة الملك ... .

...

هوارشيو: مولاي ، ستخسر هذا الرهان .

هملت: لا أظن ذلك ... إلا أنك لن تعرف مبلغ الألم الذي هنا ، حول قلبي . ولكن لا عليك . ص١٧٦

يحمل (هملت) بعدين متناقضين، الحضور والتمركز والقوة والثبات، والتقهقر والضعف والتردد والخواء النفسي والشك والهاجس، فهو عزلة واغتراب نفسي لا قرار له، كلها عوامل مثيرة في تأخر أو تردد (هملت) في تنفيذ مهمته وإرضاء طيف والده الذي لا يفارقه، ولطالما يترائ له ليحثه ويشد من عزيمته الفاترة .

هملت: أما جئت تعنف أبنك المتواني الذي راح يضيع الوقت وينشغل بالعواطف عن اللج في تنفيذ أمرك الرهيب ؟ بربك قل لي .

الطيف: لا تنسى ! ما هذه الزيارة إلا لشحن عزمك الذي كاد يفل ص١٢٣

يتظاهر (هملت) بالجنون كمحاولة يائسة لتبرير ضعف إرادته وفشله في الشروع بالفعل. في وقت مضطرب يعج بالتناقضات والدسائس والخداع والمكر، مما أنتج صورة قاتمة ودوامه عنيفة وصراع عميق مع النفس والعقل ، ومحاولة الهروب ولو داخلياً. بل أحدث انقلابا في الفعل الإرادي ليحيله لا عقلانياً بإضطراباته وطيشه العارم ونزواته وعبثيته لكل ما يحيط به ، لينسف كل العلائق الذاتية والاجتماعية ، ومع أقرب الناس إليه.

هملت: ها ، ها ! أعفيفة أنت ؟ ص٩٥

هملت: أذهبي إلى دير الراهبات . أتريدين أن تلدي الخطاة ؟ ص٩٦

وهذا العبث المتأرجح بين آهات النفس وإرهاصاته والتأملات العقلية وبين نظام الطبيعة والناموس الاجتماعي ، اللذين طالما لم يغادرهما ، محيلة (هملت) غارقاً في خضم التصارع والتناقض في النزاعات ، الصراع الداخلي والواجب الطبيعي للانتقام ، ليطرح سؤاله الأثيري بأن (يكون أو لا يكون) . وقد انسحب ذلك في علاقته مع حبيبته (أوفيليا) كامتداد سيء وأنموذج سلبي للمرأة عموماً ، وفقاً لموقف أمه ، لزوجها من عمه بعد شهرين من قتل أباه، زوجها الملك . وتتمظهر إرادة (هملت) وتتموضع وتتركز أكثر لحظة عبثيته وصورته القاتمة غير الملتزمة بشيء ، وتكون أكثر عمقاً وتأثيراً في انتقاميته ، متجاوزاً نصفه المتناقض (الصراع الداخلي) لحظة شعورية آنيه ، وجموحه العارم في العزم والتنفيذ ، متجاوزاً عبث الحياة وعبث الطبيعة التي طالما لم يتخل عنها ، والذي تجسد في مشهد (حفار القبور) . فالظرف الخارجي والعالم الموضوعي ليس محفزاً قوياً للانتقام ، قدر تحفيز العامل النفسي والظرفي وهو اقدر وأدرك على الفعل الإرادي في لحظات جنونه أو تظاهره بذلك ، فهو بسخريته يصيب كبد الحقيقة، وهو لا يتعكز في إرادته على مبدأ الاعتقاد والاتفاق الجمعي – لحاله وموضوعه – قدر تعكزه على إرادته الذاتية التي تنبع في ذاته ولذاته ، لأنها ذاتاً عارفة مستخلصاً الحقائق بفكره الجدلي النابع من نظام الطبيعة .

وتتربع قمة إرادة (هملت) في مشهد المبارزة ، وبعد أن رأى أمه تموت بالسم الذي وضع له ، ومعرفته بأنه طعن بسيف مسموم من قبل (ليرتس) الذي أصيب هو الآخر بنفس المصير، لخديعة الملك لهما . قائماً بفعله الإرادي الأعلى بطعن عمه الملك وتجريعه السم عنوة .

هملت : والنصل مسموم أيضاً ! إذن عليك به يا سم ! (يطعن الملك) ص١٨١

هملت : هاك أيها الدانمركي السفاك ، الزاني ، اللعين ، أجرع هذا الكأس . اجوهرتك هنا ؟ (يقحم بقايا الكأس في فم الملك) الحق بأمي ! ص١٨١ ص،١٨٢

تكونت إرادة (هملت) وبنيت وكبرت ونضجت بعد تراكم معرفي ونفسي وعقلي وشعوري وعاطفي، ومقارنة

نفسية مع الآخر في ظرف أتعس وأقسى من ظرفه وإرادته جاءت نتيجة صدمة ايقظتها . فتعبيرات (الممثل) في تدريباته على المشهد أثارت فيه الشيء الكثير، وموت (أوفيليا) أيقظت مشاعره ونفسيته وعزمه . فيعلن صراحة حبه لها متحدياً غضب أخيها (ليرتس) وعنفوانه .

هملت: لقد أحببت اوفيليا أربعون ألف أخ بمجموع حبهم لنا يساووا مقدار حبي لها ، ما الذي تريد فعله مـــــــــــــن اجلهـــــــــــــا ؟ ص١٦٧

ومعرفته بمكائد عمه الملك وتدبير خطة لقتله ، فضلاً عن مغامرة الملك الشاب (فوتنبراس) وجيشه للاستيلاء على قطعة ارض صغيرة لا قيمة لها . هذه الدوافع حفزت(هملت). للقيام بمهمته .

هملت : ... ما الانسان إن كان أفضل ما لديه وخير ما يشغله النوم والأكل ؟ حيوان لا غير ... لماذا أراني بعد حياً لأقول "هذا الأمر يجب فعله" ، ولديّ لفعله الحافز ، والإرادة ، والقوة، والوسيلة ... هذا الجيش اللجب يقوده أمير رقيق حديث السن ... إلى تحدي الخطر والموت وقسمة الحظ ، من اجل قشرة بيض ... . ص١٣٦، ص١٣٧

إرادة (هملت) بصورتها الشمولية متصيرة ، لتموضعه في مصير غير اختياري ، وهو إزاء حتميات مسبقة فرضت عليه ، ومن ثم بات في وضع تأمل مبدئي وتصور خفي لواقع غير منطقي . وما إرادته إلا فعل لها ومحاولة إعادتها إلى طبيعتها ووضعها وتصحيح الأخطاء، حتى لو كانت عن طريق الانتقام لتسير الطبيعة وفق نظامها السوي . وهو وفق هذه الحالة لا تتوافق مع مبدئيته وفهمه للحياة ومخالفته لغاياته ونزعاته وأهدافه ، ونتيجة قتامة الموقف وضبابيته ، توشحت إرادته باللاعقلانية والسخرية والجنون وعبث الحياة واللاتوازن، لجسامة المسؤولية الملقاة على عاتقه ، ومحاولة إستباقية لعدم الانصهار كلياً في إرادة فرضت عليه ، فهو يسيح في أفعاله غير المتوازنة والتظاهر بالجنون لروحه المشتعلة ، وبذلك تصيرت إرادته غير منظمة وغير متوازنة ، فهو تارة في فورة وحضور وتمركز ، وتارة هو في حالة تقهقر وفشل. وهو متهور ومتشكك وقاسي ومرهق نفسياً وعصبياً . والشك يتسور توجيهات العقل لكي تكون الإرادة وفقها. فإرادة (هملت) غير واعية وغير معقلنة على الرغم من معقولية ميثراتها ، تقوده إلى أخطاء جسيمة ، وهي إرادة ليست حرة ، بل محكومة ليس بالمعنى الاختيار للنزعة أو الغاية ، بل نتيجة الوضع الذي فرض عليه.

أسم المسرحية : عطيل (٣٠)

تنبع مأساة (عطيل) لحساسيته المفرطة نتيجة اعتزازه بنفسه وثقته العالية ، بوصفه مقاتلا شجاعاً . و(عطيل) الإنسان الذي أحب بإفراط دون روية وحكمة ، لا يعرف الغيرة والشك مطلقاً ، ذو إرادة قوية وتأثيره المباشر على الآخر واندفاع عارم لا يأبه لشيء ، لأنه امتلك كل شيء ، المنصب والجاه والمكانة الاجتماعية. و (ياغو) بذكائه ودهائه يفسد حياة (عطيل) رغبة وانتقاما لعدم نيله المكانة التي يستحقها على الأقل (عسكرياً) ورفضه ومقته العرق الذي ينتمي إليه (عطيل) الذي ينافي عرق زوجته (دزدمونة) والذي ينتمي إليه (ياغو). طرفين متعارضين ومتناقضين ، ساحة صراعهما (دزدمونة) في سذاجتها وطيبتها. ضحية الرهان اللاواعي لطرفي الصراع ، والتي لا تملك خطاباً مؤثراً تقاوم به محنتها ومأساتها. و (ياغو) لديه المرتكز الذي يستند عليه في حقده لغريمه (عطيل) ، العرق والريبة تسوران مخيلته المريضة ، يغذيها موقف والد (دزدمونة) ذو الأخلاقية الكاذبة. إذ يلجأ (ياغو) إلى نخر شخصية (عطيل) وكيانه من الداخل زارعاً بذور الشك والغيرة العمياء في تشكيكه في زوجته وتحويل هذا الشك إلى يقين ذلك بتقديمه براهين وأدلة كاذبة (المنديل) لبناء صورة وهمية خادعة وواقع قذر وفاسد معيش في مخيلته ، لتتمظهر الغيرة وتتموضع بشكل لا شعوري في نفسية (عطيل). ولا تستطيع (دزدمونة) الدفاع وتعجز عن طرد الأوهام من مخيلته ، لبراءتها وطهرها الأعزل ، وحبها الصادق له ، لا تفعل غير تثبيت ما يتصور (عطيل) انه يعرفه.

عطيل: أعطيني يدك . هذه اليد رطبة ، سيدتي .

دزدمونة: لم تحس بعد شيخوخة ، ولم تعرف أي حزن.

عطيل: أنها دليل الأثمار والقلب السخي . حارة ، حارة ، ورطبة ، يدك هذه بحاجة إلى الإحجام من الحرية

، إلى الصوم والصلاة ، إلى التقشف الكثير، والرياضة الورعة . لان هنا شيطاناً فتياً يعرق ، من دأبه االتمرد . إنها يد طيبة ، يد حرة صريحة .

دزدمونة: لك حقاً أن تقول ذلك . لأنها اليد التي وهبتك قلبي . ص١٥٦، ص١٥٧

يصل (ياغو) إلى أهدافه التي رسمها بخبثه ودهائه الذي ينبع من عالم داخلي ذاتي وذو إرادة فردية شريرة ، تتموضع فيها نفساً آلمتها الجروح والمظالم وعدم التقدير. وهاهي مكائده تنساب بشكل مبسط ، لترتاح روحاً تعرف قدراتها في طي القانون الطبيعي والقفز فوق الشرائع ونسف الاعتقادات الاجتماعية ونواميسها فـ(ياغو) ذو إرادة صلبة تتغذى من حالة النقص التي أصابها ، فهو لا يتوانى عن إطلاق عواهنه من الدهاء والمكر والخبث فعلا إرادياً، وإطلاق كلماته الطيبة والعنيفة والماجنة والمحملة بالمجون الساخر والفاضح.

ياغو: هيا ، هيا ! إنكن خارج بيوتكن صور، أما داخل حجراتكن فأجراس ، وفي مطابخكن قطط وحشية . في أذاكن قديسات ، وإذا استأتن فشيطانات ، في أشغالكن المنزلية عابثات ،أما في الفراش فسليطات ! ص١٠٦

يمتلك (عطيل) إرادة قوية نابعة من شخصيته النفسية المتوازنة المنضبطة مع هدوء الطبع والمسؤولية السلوكية والتصميم الشجاع والإيمان الكبير بالإنسانية مع ثقته بالآخر، فضلا عن مرتبته الاجتماعية والأخلاقية العالية ، بالإضافة إلى شهامته ورجولته وقوته وبسالته ومنطقه القوي في الحجة وفرض الرأي. هذه الصفات أعطته الثقة بالنفس وقوة في الشخصية وقوة الإرادة وحرية في الاختيار.

عطيل: اغمدوا سيوفكم اللامعة ، وألا اصدأها الندى ص٨٢

وهو يعلن تحديه وإرادته وقوته ساخراً من تنبيه (ياغو) له نتيجة خلوته بـ(دزدمونة) وعلم والدها بذلك ، وعدم خوفه من غضبته وعنفوانه.

عطيل: ليفعل ما شاء له حقده ، فالخدمات التي قمت بها للدولة ستعلوا لساناً على شكواه . أنهم يجهلون ما سوف أذيعه ساعة أوقن إن في التباهي شرفاً ، لي وهو أنني أستمد حياتي وكياني من أسرة ملكية السدّة، وان مزاياي بإمكانها أن تخاطب، والرأس عالٍ ص٨٠

ويمتلك (عطيل) إرادة التحدي وعدم الخوف ومواجهة والد (دزدمونة) وحرسه أثناء المشاجرة الكلامية التي نشبت بينهما.

عطيل: كفوا أيديكم ، كلا الطرفين ، من هم معي ومن هم عليّ . لو جاء دوري للقتال ، لعرفته دون ملقن. أين تريدني أن أذهب لأدفع عني تهمتك ؟ ص٨٣

وتتمظهر إرادة (عطيل) القوية وفعلها الإرادي لحظة إقناع مجلس الشيوخ بموقفه وتوضيح رغبته وحبه لـ(دزدمونة) وزواجه منها، وإرادته في قبوله تولي قيادة الجيش لمحاربة الأتراك الزاحفين صوب قبرص ، وتفضيله الواجب العسكري على حب (دزدمونة)، فضلاً عن اختياره الشخصي لوظيفة ملازم الجيش وتعيينه لـ (كاسيو) لهذا المنصب ، وطلبه في اصطحاب (دزدمونة) معه إلى قبرص .

عطيل: لقد جعلت العادة المستبدة ، أيها الشيوخ المبجلون ، من سرير الحرب بفولاذه وصوانه فراشي الناعم الريش والزغب ، وأني لأتبين أني أجد في المشاق حافزاً فطرياً وعفوياً ، وأتعهد بقيادة هذه المعارك الراهنة ضد العثمانيين... . ص٩٣

عطيل: أمنحوها أصواتكم ، أرجوكم يا سادتي ، ولتشهد السماء أني لا ألتمس هذا إرضاءاً لحلق لذاتي، أو انصياعا لدواعي الشهوة وتمتيع نفسي– فشبق الشباب فيّ قد خبا – بل سخاءً حراً اتجاه أمنيتها. ووقى الله أرواحكم الكريمة من أن تظنوا أنني سأقصر في مهمتكم الخطيرة الكبرى لأنها برفقتي ص٩٤

وتتمظهر إرادة (عطيل) الذاتية والحرة لحظة وصول أنباء تحطم الأسطول التركي جراء العاصفة، والاحتفال بالنصر وتجنبهم المعركة ، فضلاً عن الاحتفال بزواجه .

المنادي: الآن وقد بلغتنا أنباء تتحدث عن هلاك الأسطول التركي بكامله ، فأنها مشيئة عطيل...أن يحتفل الجميع بالنصر... فضلاً عن أنباء الخير هذه، فأن الاحتفال هو أيضاً بزفافه . هذا ما أرادت له مشيئته أن يعلن عليكم ص١١٤

كما يتمظهر شكل هذه الإرادة الذاتية الحرة في إمكانية إرجاع الملازم (كاسيو) إلى منصبه الذي أعفي منه ، والعفو عما بدر عنه من أخطاء فضلاً عن المشاجرات التي وقع فيها وشرابه أثناء الواجب ، والذي دبره (ياغو) وأوقعه في مكائده وحيله . و(عطيل) لا يكترث بأحد وقراراته تصدر عن إرادته هو.

دزدمونة ... أرسل في طلبه .

عطيل: ليس الآن ، يا حلوتي دزدمونة . في حين آخر.

دزدمونة: ولكن عما قريب ؟

عطيل: بأقرب حين يا حلوتي ، من أجلك.

دزدمونة: أهذا المساء عند العشاء ؟

عطيل: لا ، لا هذا المساء .

دزدمونة: غداً أذن ، عند الغداء؟

عطيل: لن أتغذى في البيت ص١٣٧

تتموضع عند (عطيل) إرادة من نوع آخر ، إرادة قوية من الخارج ، لكنها ضعيفة من الداخل ، لحجم المكيدة والخداع والدهاء الذي يحمله (ياغو) وتضليله لـ(عطيل) بخيانة زوجته (دزدمونة) وبداية زرع عدم الثقة بزوجته واهتزاز العلاقة ، اللحظة التي بدأت فيها انهيار قوة (عطيل) وبداية الشكوك والظنون بخيانة زوجته.

عطيل: ... أتحسب أنني سأجعل من الغيرة حياة لي ، فأتابع دوماً تغيرات القمر بشبهات جديدة ؟ كلا : الارتياب مرة واحدة ص١٤٢

ياغو: أرى أن هذا قد نال من بهجتك .

عطيل: ولا ذرة ، ولا ذرة . ص١٤٣

عطيل: لن أفعل ص١٤٣

عطيل: لا ، لم أتأثر كثيراً ص١٤٤

عطيل: لا تخش على رباطة جأشي . ص١٤٥

وتتمظهر إرادة (عطيل) المضطربة وغير المتوازنة وغضبه ولوعته ، واستعداده لخلع زوجته والتخلي عنها.

عطيل: ...إذا ثبت لي أنها صقر بري ، فحتى لو كانت سيورها أعز نياط قلبي فأنني سأصفر لها أن أغربي عني ، وفي مهب الريح فلتبحث عن مصيرها ص١٤٥

تتحول ظنون(عطيل) وشكوكه إلى اليقين لحظة تقديم (ياغو) الأدلة المادية (المنديل) الذي طالما طالبه بالدليل الحي والمرئي ، وفضلاً عن تدبيره لقاء بين (دزدمونة) و (كاسيو) ليؤكد كلامه لـ(عطيل) بخيانة زوجته ، وهو لقاء في الأصل يدور حول وساطة (دزدمونة) لـ(عطيل) وإقناعه بإرجاع (كاسيو) إلى الخدمة والعفو عنه. وأسماع (عطيل) كلام (كاسيو) الموجه أو المعني به (بيانكا) على أنه متعلق بزوجته (دزدمونة). ومطالبة (عطيل) الدليل والبرهان على الخيانة لـ(ياغو) هي بداية تفتيت الاحترام الذاتي والنخر في منظومته الرجولية النفسية العقلية ، وتقديم البرهان إليه أضحى رجلاً بقرنين. فتتكالب الشكوك والظنون وتتزاحم ، لتحيل إرادته إلى اللاعقلنة إلى الخواء وعدم التوازن في سلوكياته وتصرفاته ، وكلامه بات هذياناً، وهاهو يلعنها وينعتها بصفات بذيئة ، مع بداية الاقتناع بقتلها لخيانتها.

عطيل: أجل ، لتتفسخ ، وتهلك وتلعن هذه الليلة... . ص١٧٢

عطيل: إلا فلتشنق ! أنا أنما أقول عنها ما هي... . ص١٧٢

عطيل: سأقطعها نتفاً ! تخونني ؟! ص١٧٣

وتتواصل هذيانات (عطيل) وترهاته ومواجهته (دزدمونة) ونعتها بالعاهرة والبغي ، وبشكل مباشر وصريح وعلني ، فاقداً توازنه العقلي وانتظامه.

عطيل: هذا الورق الجميل ، هذا الدفتر البديع ، هل صنع كي يكتب عليه (عاهرة) ؟.... أيتها البغي الوقحة!

دزدمونة: والله انك تظلمني ! ص١٨٠

وهذا الانهيار في العقل وعدم انتظامه يقابله فتوراً وتردداً في الإرادة وفعلها، وإن تمظهر فهو لحظة واحدة سريعة يداوي بها جراحاته وآلامه النفسية والعقلية ،

لتعيد الأمور إلى نصابها الطبيعي. إلا وهو قتل (دزدمونة) وهو الانتقال من الغيرة والشك والجنون إلى الفعل الانتقامي والثأر بدافع الشرف.

عطيل: انه السبب ، انه السبب ، أيتها النفس ... يجب أن تموت ، والا فأنها ستخون المزيد من الرجال ص١٩٩

ينهار(عطيل) تماماً بعد قتلها وتنهار قواه وتنهار إرادته ، وهو يتخبط بشكل تام مع عدم الوعي والانتباه وعدم تركيزه لما يقول ، وهو في حالة جنون كاملة .

عطيل: إلى سعير جهنم ذهبت ككاذبة ! أنا الذي قتلتها . ص٢٠٥

ويدخل (عطيل) في الانهيار الكامل والغيبوبة لحظة سماعه الحقيقة ومعرفته بحقيقة غدر (ياغو) من فم (اميليا) التي أخبرته كل شيء واعترافاتها بمكائد زوجها (ياغو) وبراءة (دزدمونة) من جريمتها الخيانية، لتتمظهر نتيجة ذلك صحوة وانتفاض لهول الصفعة التي تلقاها والفعل الآثم الذي اقترفه بحق زوجته (دزدمونة)، ولابد من فعل يعادل ذلك أو يتخطاه، ليعود للطبيعة نظامها السوي ، فيطعن (عطيل) (ياغو) محاولاً قتله .

ياغو: أني أنزف ، يا سيدي ، ولكني لم أقتل .

عطيل: لن أسف لذلك . أفضل لك الحياة ، لأن الموت ، فيما أرى سعادة . ص٢١٢

ويتمظهر قمة الفعل الإرادي عند (عطيل) في قتل نفسه تطهيراً لها وليتكامل مرة ثانية كما كان سابقاً ، فـ(عطيل) مثل نزعة الخير والنبل ، مقابل نزعة الشر التي مثلها (ياغو) فـ(عطيل) شخصية تفككت بفعل حرث (ياغو) في عمق شخصيته ناخراً بناها القوية التي ترتكز عليها ، ثم أعادة تركيبها بقتل نفسه جراء ما أقترفته من عمل سلبي دون معرفة ، أو تضليل الحقيقة عليه . لتمثل مأساة ولوعة وألم وإثارة للنفس. فيخاطب (عطيل) جثة (دزدمونة).

عطيل: قبل أن أقتلك ، قبلتك. وما من سبيل آخر. قتلت نفسي، لأموت على قبلتك. ص٢١٥

أسم المسرحية : الملك لير (٣١)

يكشف (شكسبير) في مسرحية (الملك لير) طمع الإنسان وجشعه وتفسخه وانحلاله ، لاهتمامه بالماديات والمغريات الدنيوية ، وإهماله القيم والأخلاق والعلائق الاجتماعية والأسرية ، ليفرز سقوط ذلك العالم وانحداره أمام المادة. فعندما تختل موازين الإنسان (الفرد) وسقوطه في عالم الطمع والجشع مغادراً طبيعته السوية ، إلا بداية اختلاله ، ومن ثم نخر المجتمع ومنشآته وبناه الاجتماعية ، مروراً بضعف الدولة وإصابتها وانفراط العلائق التي تقويها ، وصولاً إلى اختلال الكون وصيرورته إلى اللاتوازن واللانظام . وغضب (لير) ولعناته متوجه صوب العالم المادي الجشع ، والإنسان الطامع والمتواطئ لسلب حقوق الآخر. (لير) صرخة الإنسان المعذب المستلب وهو يواجه طيبته وثقته العمياء بالآخر، ليصطدم بمكابدات عذاباته وإسقاطات هذياناته ، ليترجم صورة بوحه النفسي وخفاياها. وعندما يتمركز الشر وينتصر مخالفاً نظام الطبيعة السوي ، ومخالفاً عالم المنطق والعقل ، كان لا بد أن يتصير (لير) إلى حالات الجنون وفواجعها وآلامها ، والتوهان والسيح اللامكاني ، ليمتد مع الطبيعة امتداد الإحساس بوجوده وكينونته وماهيته . والمسرحية درس أخلاقي لطبيعة الفرد وماهيته والساعي إلى سلب حق الآخر المتصير إلى الجنون .

تنبع إرادة (لير) من فعل الخير، لأنه يمتلكها ويعتقد بها ، ويمتلك حرية القرار في التنفيذ ذلك الفعل لثقته الكبيرة والعمياء بالآخر، وهو يمتلك وعيه وقدرته على الاختيار. فهو يتخلى عن أملاك دولته وتقسيمها على بناته وفق مقدار حبهن له ، والذي أراد قياس حب بناته له بأجزاء من مملكته الشاسعة.

لير: ... اعلموا أننا قد قسمنا مملكتنا ثلاثاً ... لقد صارت الآن مشيئتنا الراسخة أن نعلن عن مهر كل من بناتنا ... أخبرني يا بناتي ... من منكن سنقول أنها تحبنا أكثر من أختيها ؟ ... . ص١٤، ص١٥

ويتمظهر (لير) كرجل مغرور حاد الطبع وذو مزاج لا يلين ، لحظة تقريعه للبنت الصغرى (كورديليا) وتبرأه

منها لأنها نطقت صدقاً في مقدار حبها لأبيها ، على النقيض من أختيها اللتين كذبتا عليه في مقدار حبهما له. وهي إرادة فعل الشر دون العلم به وجهله بمعرفته.

لير: لا بأس . فليكن صدقك صداقك ... أني هنا أتبرأ من حنوي الأبوي ومن علاقة الدم والقربى،... . ص١٧

وتتمظهر نفس الإرادة عند (لير) ، لحظة طرد (كنت) من المملكة ، لاعتراضه على تقسيم المملكة ومساندته لموقف (كورديليا) ، مما أثار حفيظة (لير) وغضبه عليه ، لاعتراضه على قراراته وإرادته ومما عزم عليه ، بوصفه ملكاً لا يأخذ رأي أحد وأنه تدخل في شأن لا يعنيه.

كنت: مولاي الكريم –

لير: صمتاً يا كنت ! لا تقحم نفسك بين التنين وغضبه ص١٨

لير: أسمعني يا مارق ! إن كان فيك ولاء أسمعني! بما أنك سعيت في حملنا على الإخلاف في الوعد مما لم نقدم يوماً عليه ، وأقحمت نفسك، بكبر مفتعل ، بين ما نطقنا به وبين سلطاننا، وهو ما لا يطيقه طبعنا ولا تتحمله مكانتنا ، ودعماً لسلطتنا ، خذ جزاءك. إننا نمهلك خمسة أيام تتمون فيها اتقاء نكبات الدنيا . وعليك في اليوم السادس أن تدير ظهرك الكريه لمملكتنا ص٢٠

تضعف إرادة (لير) باصطدامه الأول مع ابنته (غونريل) التي لم تعط اهتماماً واحتراما لأبيها . كما كان يتصور، وفاءاً له بوصفه أبوها أولاً، وعدم بخله عليها باعطاءها نصف مملكته، ولتحقق رؤية (البهلول) و(كنت) في خطأ الملك (لير) بتقسيم مملكته، والتي طالماً أسمعها له .

بهلول: ... هذا الرجل قد نفى أثنتين من بناته ، وبارك الثالثة رغم ارادته ص٣٨

بهلول: ساعة شطرت تاجك نصفين ، ووهبت كليهما ، حملت حمارك في الوعر، على ظهرك . ما أقل العقل في تاج رأسك الأصلع حين ألقيت عنك بتاج رأسك الذهبي ! ص٤٠

بهلول : ... أما الآن فأنت صفر بلا رقم. أني خير منك الآن : أنا بهلول ، وأنت لاشيء ص٤١

تعنف الابنة (غونريل) أباها الملك على نزواته وطيشه ومجونه وفقدان حكمته ، وهو الذي وهبها نصف مملكته . لتتمرد عليه كابنة وتفرض إرادتها عليه وتريد عيشه وفق ما تريد وترغب وتشاء، ذلك بتقليل عدد حرسه وحاشيته ومراعاة سلوكهم الماجن والشائن وتهذيبه ، وهذا ما لا يروق لـ(لير) ولا يطيقه ، ولا يرضى لأحد أن يفرض عليه شيئاً .

لير: هل هنا من يعرفني ؟ هذا ليس لير: أيمشي لير هكذا ؟ أينطق هكذا ؟ أين عيناه ؟ عقله يضعف ، وإدراكاته يصيبها الشلل . ها ! أواعٍ أنا ؟ كلا. من له أن يخبرني من أنا؟ ص٤٢

يعتري (لير) الغضب والدهشة لما بدر من أبنته (غونريل) ، وندمه في معاملته القاسية لأبنته (كورديليا)، وهو يتوسل للطبيعة بإنزال غضبها على (غونريل)، لأنه لا يملك سوى اللعنات والتعنيف، وهي إرادة ضعيفة صادرة من رجل ضعيف فقد كل شيء ، لحظة ثقة عمياء وعدم قياس الأمور بتوازن عقلي ونظرة بعدية . لا يملك (لير) سوى الدموع والآهات وإنداب الحظ .

لير: ... وحق الحياة والموت أني ليخجلني أنك تقدرين على زعزعة رجولتي هكذا، وأن دموعي السخينة هذه ، التي تطفر عنى قسراً ، تجعلك جديرة بها ... وما في لعنة الأب من جروح لا تداوى ص٤٥

تتضاعف محنة (لير) وتتضاءل إرادته، في تمرد البنت الثانية (ريغن) وعدم استقبالها له في قصرها، وفق طلب أختها (غونريل) للضغط عليه، فضلاً عن تعذيب رسوله (كنت) الذي تنكر بشخصية أخرى لخدمته ، وعدم استقباله بتكريم وحفاوة كما ينبغي ، لأنه مرسل من قبله. فلا أحد يهاب (لير) ويخافه، ولا أحد يسمع كلامه وينفذ أوامره، ولا أحد ينفذ طلباته، من الخدم .

لير: أن الملك يريد مخاطبة كورنوول، والأب العزيز يريد مخاطبة ابنته. أنه يأمر بالخدمة ويسديها ... وإني

لأسخط على إرادتي الهوجاء، إذ أحسب المتوعك المريض وكأنه الرجل المعافى . ألا موتاً لجلالتي ! ... . ص ٧٠

ومما زاد من محنة (لير) قتامة وكبح إرادته بالكامل وبداية تمرحله الجنوني، هو طلب الابنة (ريغن) من أبيها الاعتذار لـ(غونريل) ، لأنه عنفها وأسمعها كلاماً خشناً ، فضلاً أن الطبيعة قد أخذت منه الشيء الكثير. والعقل بدأ يتناقص ، وكبر السن قد طغى على تصرفاته . كلام (ريغن) هذا لأبيها، هو بمثابة الصفعة التي أركعته أمام أبنته (ريغن) طالباً ومتوسلاً المبيت عندها ورعايته.

لير: أأطلب غفرانها ؟ أترين كيف يليق ذاك بيتنا؟ .. "ابنتي العزيزة ، أني أعترف بأنني قد شخت ، ولا ضرورة للشيخوخة . على ركبتي أتوسل إليك أن تمنحيني كساء وفراشاً وطعاماً ." ص ٧٢

وبعد كل هذه المعاملة السيئة والخشنة من ابنتيه، وتضييق إرادته وبداية جنونه ، كان لا بد من لحظة انتباه وصدمة وانتفاضة إرادة كمحاولة يائسة لرد جزء من عنفوانه المفقود . فهو ينتفض ويقوى وينهار وتخور قواه ، لعدم تحمله الصدمة والموقف الذي وضع نفسه فيه ، فهو يرفض شروط ابنتيه وأفعالهما بشدة لمكانته التي فقدها ، وهو يضعف ويتهاوى حتى يصل إلى مرحلة البكاء والجنون، لفقدان شخصيته ورجولته على الأقل .

لير: ... سأنزل انتقاما بكما كلتيكما بحيث أن الدنيا سوف – سأفعل أموراً ، لا أدري بعد ما هي ، ولكنها ستكون رعب الدنيا كلها . تحسبان أني سأبكي . لا ، لن أبكي ، وبي للبكاء كل سبب . غير أن هذا القلب سيتحطم إلى مئة ألف شظية ... . ص ٧٧

وما عقاب (لير) لابنتيه إلا توهان نفسي ، والتصاقه واعتماله مع الطبيعة ومع الحيوان كامتداد طبيعي لوجوده ولحالته ، بعذاباته ومعاناته القاسية وآهاته الموجعة ، ليتوحد معها واضعاً مصيره وإرادته معها وفيها .

لير: ازفري يا رياح، وشققي خديك ! ثوري واعصفي!... . ص ٨٢

يتصير (لير) مع الطبيعة ومع الجنون والبكاء والصبر، ومع التطهر النفسي والروحي، فهو يتألم للفقراء والمساكين الذين لا يجدون مكاناً آمناً يقيهم نوائب الطبيعة القاهرة ولا يجدون طعاماً كافياً لديمومة الحياة . وهو يسرح بخياله المريض بتصوره محاكمته لابنتيه العاقتين ، وهي لحظة جنونية طافحة لتعكس انكساره النفسي والروحي . وهو يرفض رؤية ابنته (كورديليا) خجلاً، لقسوته في معاملتها وحرمانها نصيبها من بركاته التي أهداها برمتها لأشخاص لا يستحقونها.

لير: ... أيها التعساء العراة المعدمون ، أينما كنتم، وأنتم تحتملون ضربات هذي العاصفة التي لا ترحم، أنى لرؤوسكم بلا مأوى وجوانبكم بلا طعام ، وشعثكم مثقب مخرق ، أن تقيكم هول مواسم كهذه ؟ ... . ص ٨٩

لير: أريد محاكمتهما أولا. أحضروا الشهود عليهما ... . ص ٩٨

كنت: يا سيدي ، أن لير المبتلي المسكين في المدينة. وهو أحياناً ، في لحظة من الصفاء ، يتذكر ما نحن فيه ولكنه يرفض الانصياع لرؤية ابنته.ص ١١٧

يعاني (لير) نوبات جنونية وشطحات وهذيانات وفلاتات كلامية ، محملة بالحكم والمواعظ والعبر والبوح والشكوى والأنين والألم الروحي والنفسي وندب الحظ ، كحكم ومواعظ (هملت) . وهي حكمة يصل إليها البطل التراجيدي الشكسبيري .

ادغار:يا لمزيج من الشطحات ، يا له عقلاً في جنون ! ص ١٢٩

لير: ماذا ، أمجنون أنت ؟ للمرء أن يرى كيف تسير هذه الدنيا من غير عينين. أنظر بأذنيك ... ص ١٢٨

لير: عندما نولد نبكي لمجيئنا إلى مسرح البلهاء الكبير هذا ... . ص ١٢٩

لير: أما من نجدة ؟ ماذا ، أأسير أنا ؟ إن أنا إلا أضحوكة الدهر. أحسنوا معاملتي . ستدفع لكم الفدية . جيئوني بجراحين ، إني مجرح حتى الدماغ . ص ١٣٠

ليـر: عليكم بتحملي . ورجائي إليكم الآن ، أن تنسوا وتغفروا . أنني هرم خرف . ص١٣٩

وتستمر معاناة (ليـر) ومأساته ، فاقداً وعيه وإرداته كلياً بسبب ترهاته وجنونه وإرهاصاته ، مستسلماً يائساً ، لا يعبأ بالحياة وما خبأه الدهر والحظ من مصير قاتم له . فهو ينشد حياة بديلة أخرى ، حياة هانئة سعيدة، تعيد صفاء روحه ونفسه مع ابنته (كورديليا) التي طردها وحرمها بركاته ، وأنها الوحيدة من بناته كانت الصادقة في حبها له. وهاهو يترك الطبيعة ويتوحد مع الإنسان مع ابنته تطهيراً للنفس من لوثات الطبيعة والعقل والنفس. إرادة ضعيفة واهنة مهزومة من الداخل ، معترفة بخطئها مع نفسها ، ومحاولة لملمة شتاتها المتبعثرة ، بعد خسران كل شيء ، طلباً للمغفرة والتطهير.

ليـر: لا ، لا ، لا ، لا ! تعالي ، نذهب إلى السجن . سنغني كلانا وحدنا كعصفورين في قفص : فإذا طلبت البركة مني ، ركعت وناشدتك الغفران : هكذا سنحيا ، ونصلي، ونغني ، ونروي حكايات قديمة ص١٤٥

هذه الإرادة الضعيفة ما هي إلا انكسار روحي وانهيار نفسي واضطراب عقلي عام ، تزداد قتامة وبؤس وتفكك وتحطم عند قتل (كورديليا) المخلص الروحي الأوحد له ، وهو الآن يفقدها ، كفقده مملكته. وهو الآن في قمة جنونه وانهياره الكامل والإغماء وعدم الإحساس بشيء .

ليـر: وبهلولتي المسكينة شنقوها ! لا ، لا حياة ... لن تجيء ثانية ، أبدا ، أبدا ، ابداً، أبدا ! ص١٦٠

أسم المسرحية: مكبث (٣٢)

تصور مسرحية (مكبث) آفاق الإنسان وطموحه الزائد ، الذي لا يقف عند حد معين ، وتوجه قوي عنيف ، وتطلع بقوة نحو تحقيق الأهداف والغايات ، مهما كانت النتائج، ومهما كانت الوسائل. (مكبث) وزوجته لا طموح لهما قدر استلام العرش والسلطة والتمسك بهما، تحقيقاً للوجود واثبات الذات ، فكلاهما يخوض صراعاً دموياً وحشياً قاسياً، لنيل الغاية المرتسمة في الذهن، حتى وان نسفت الأخلاق وهدمت قواعد العدالة وتصدعت النواميس والقوانين والأعراف. والانتصار الوقتي لابد له من أن يقيض بنظام الطبيعة السوي ، ولا يمكن أن ينتصر الشر وإرادته. فعالم الضمير الإنساني وان كان خفياً، كان له أن يتصدى لإرادة مصيرية مغلقة ذاتية متشبثة بانتصارها المؤقت والوهمي ، هذا الضمير الذي يشفي جراحات المشهد المأساوي ولو كان بشكل فنتازي ميتافيزيقي. فنبوءات (الساحرات) التي قيضت توازن (مكبث) وهزت كيانه النفسي والعقلي ، وتمظهر شبح (بانكوو) المقتول أمامه وفي مخيلته ، إلا رد فعل عنيف لأفعاله الدموية ، مانعاً إياه من التفكير المنطقي والسليم ، وسير (الليدي مكبث) أثناء النوم ، ما هي إلا صفعة قوية لنزواتها الخبيثة ودهائها ومكرها وجشعها وطمعها بالعرش والسلطة التي وصلت إليه عن طريق الدم ، الذي لم تستطع إزالته كل العطور العربية. وتقدم غابة (بيرنام) ورؤيتها من قبل (مكبث) والذي كان تحرك الجيش المختبئ والمستتر في داخلها ، ما هي إلا محرضات داخلية في نفسية كلاهما ، ليعانون من الاضطراب والهذيان والهلوسة ، كنتيجة طبيعة لاقتراف الفعل الآثم . وهكذا يتصير مصير (مكبث وزوجته) جنوناً ثم هلاكاً ، لينـدرج مصير الإنسان في تعاقب أخطائه الجسيمة ، نتيجة ترسم أهداف غير مشروعة.

تتجذر إرادة (مكبث) وتنهل من نبوءة (الساحرات) أثناء عودته منتصراً مع (بانكوو) من أحدى المعارك ، رغم قساوتها وضراوتها وظروفها وتفوق العدو من حيث العدة والعدد. تلك النبوءة التي أخبرت (مكبث) بأنه سيصبح سيداً لمقاطعة (كودر) ، فضلاً عن تسنمه العرش والسلطة. تتحقق النبوءة الأولى ، ذلك بمكافأته من قبل الملك (دنكن) لانتصاره ، ولخيانة أمير مقاطعة (كودر) فيقتنع (مكبث) بصدق نبوءة (الساحرات) فيأخذه الطمع والجشع في تحقيق النبوءة الثانية مطلعاً زوجته بالأمر التي شجعته وحرضته لتحقيق هذه الغاية والهدف لتتحول إلى رغبة مشتركة تستلزم تصميماً وتخطيطاً لتنفيذها. وهي الشرارة لتفتح قريحة (مكبث) وإغرائه وإرادته المتجه نحو الشر وارتكابه بقصد وميل.

مكبث: (جانبياً) حقيقتان قيلتا توطئتين مشرقتين للفصل المتنامي حول الموضوع الملكي ص٦٩

تتبلور إرادة (مكبث) وتنمو لتحقيق الهدف، فهو يكره ويمتعض ويقتل كل من يقف حائلاً أمام إغرائه وقريحته ورغباته ، مهما كان شخصه ومكانته.

دنكن: ... ، اعلموا إننا أولينا وراثتنا ابننا البكر مالكولم ، الذي نلقبه منذ هذه الساعة أمير كمبرلاند ... .

مكبث: (جانبياً) أمير كمبرلاند ! تلك عتبة عليّ أن أكبو عليها ، أو أطفر فوقها ، لأنها في طريقي ... . ص٧٢ ، ص٧٣

يتردد (مكبث) في القيام بفعله الإرادي ، في قتل الملك (دنكن) الذي حل ضيفاً في قصره ، على الرغم من سيطرته وثباته ، ولم يقع كلياً بعد ضحية ذلك التردد ، لأنه لا زال تتردد في عوالم نفسيته خلجات نفسية وشعورية وانفعالية. ولهذا هو يبرر تردده في قتل الملك، بأنه قد أغدق عليه الهدايا والهبات ، فضلاً عن نزاهته في الحكم ، ولأنه ابن خالته ، بالإضافة إن الملك يحل ضيفاً لديه ، فلا تقتضي الأعراف والعدالة القيام بذلك الفعل . وهي لحظة شبيهة لتردد (هملت) في قتل عمه أثناء الصلاة وتبريره بعدم القيام بالفعل الإرادي. وهذه الإرادة عند (مكبث) ذو اتجاهين . اتجاه سلبي يتبعها تحقيق الهدف ، واتجاه ايجابي والالتزام بتوجيهات العقل والمنطق . لكن إرادة زوجته وتحريضها له ودفعه وتشجيعه للقيام بالفعل وتوجيه إرادته، تحيله باتجاه السلب لتجسد الإرادة القوية غير المترددة والمشدودة دوماً نحو الهدف والغاية ، مهما كلف الأمر من تضحيات ليتموضع (مكبث) وجهاً آخر للواقع الذي مثلته زوجته من حيث الإرادة والميل والقصد. وما زال (مكبث) في تردده ومسوغاته ، وتقريع زوجته ودفعها له وشد من عزمه وإرادته بشتى الوسائل ، حتى لو كانت الانتقاص من شخصه وشأنه تارة ، وتارةً أخرى إغراءه في رسم صورة وهمية لما سيؤول إليه بعد قتل الملك وتسنمه العرش واستلامه السلطة.

مكبث: أرجوك ، كفى . إني أجرأ على أي فعل يليق بإنسان . ومن يجرأ أكثر مني ، فهو ليس بإنسان . ص٨٢

يفكر (مكبث) في حالة الفشل ، وتفكيره هذا دلالة على ضعف إرادته ، لأن في داخله إرهاص نفسي بمعرفة الخير، هذا فضلاً عن تواجد العقل. لكن إرادة زوجته تدفع به إلى الشر وشحذ إرادته وتقويتها كلما فترت ، وتشد من عزمه ليدرك المبتغى وقيمة الهدف ، ليكون عوناً للنجاح السلبي ، ليتموضع أداة طيعة ولينة تسيره وفقاً لإرادتها. وهو يدفع إلى القيام بالفعل الإرادي غير المعقلن محاوراً خنجره ماضياً لإتمام نيته ليحولها فعلاً ، بعد أن أعدت زوجته المهمة وهيأة ظروفها ، لتؤكد إرادتها القوية .

ليدي مكبث: ... هيأت خنجريها ، لابد أن يراهما – لو لم يكن في شبه أبي وهو نائم ، لفعلتها أنا. – زوجي ! (يدخل مكبث)

مكبث: لقد فعلتها ! ... . ص٨٩ ، ص٩٠

تنتاب (مكبث) هلوسات وهذيانات لارتكابه الفعل الإجرامي ، ليؤكد إرادته الضعيفة التي تقوى بتحريض زوجته وتقوية موقفه بإغرائه بالسلطة . وهو في انفعال نفسي واضطراب لا يقدر عليه . وهاهي زوجته بإرادتها القوية وثباتها وإصرارها وموقفها الصارم، تأمره بالرجوع لإتمام مسرح الجريمة بإرجاع سلاح الجريمة وتلطيخ الحارسين بالدماء للإلصاق التهمة بهما.

مكبث: لن اذهب مرة أخرى . إني أخاف التفكير فيما فعلت . ولا أجرأ على النظر ثانية إليه.

ليدي مكبث: يا مزعزع التصميم ! أعطني الخنجرين . النائمون والموتى إن هم إلا صور مرسومة ... إذا وجدته يدمى ، ذهبت وجهي الحارسين بدمه ، لان الجرم يجب أن يبدو جرمهما. ص٩٢

ولهول الفعل الذي قام به (مكبث) وحجم الكارثة والموقف الذي هو فيه ، والضنون والخوف الذي تملكه ، جعله ضعيفاً مهزوماً شاعراً بالإثم والشر. لاسيما لحظة القرع على البوابة.

مكبث: اين ذاك القرع على الباب؟ –ماذا دهاني، حتى صار كل صوت يرعبني. ص٩٢،ص٩٣

ليدي مكبث: يداي بلونك ، غير أنني أخجل من أحمل قلباً كالحاً مثلك ... .

مكبث: عندما أعرف ما فعلت ، أتمنى لو أنني لا أعرف نفسي . ص٩٣

تنصهر إرادة (مكبث) المترددة ضمن إرادة زوجته القوية وتذوب فيها ، متعلماً منها كيفية التعامل مع الموقف وتمرير فعل الجريمة ، وأسفهما رياءاً على قتل الملك وإلصاق التهمة بالغير.

مكدف: ... سيدنا مليكنا قد قتل !

ليدي مكبث: يا ويلتاه ! ماذا ! أفي دارنا ؟ ...

مكبث: لو مت قبل هذا الطارئ بساعة ، لكنت قد عشت زماناً مباركاً ص١٠٠

أتقن (مكبث) هذه الخيانة وأتم الحيلة وأقفل خيوطها ، ذلك بقتل الحارسين قبل استجوابهما ، لإلصاق التهمة بهما، وتبريره لقتلهما. وبذلك تجذرت إرادة الشر عنده بشكل قوي ومتمركز متعكزاً على دعم زوجته وإسنادها له.

مكبث: آه ، ومع ذلك فأنني نادم على هوجي ، إذ قتلتهما .

مكدف: لم فعلت ذلك ؟

مكبث: ومن يقدر أن يكون حكيماً ومنذهلاً ، معتدلاً وهاجئاً ، موالياً وحيادياً ... من يستطيع الإحجام عندها ، وله قلب يحب ، وفي قلبه ذاك جرأة على إعلان حبه ؟ ص١٠١

وبعد تحقيق الهدف والوصول إليه ، وتحقيق نبوءة (الساحرات) والتتويج بالملك والعرش ، وإتقان إرادة الشر، والقيام بالفعل الإرادي غير المعقلن ، كان لا بد من إزاحة كل شيء يعرقل أو يخدش السلطة أو يزاحم عليها . فيقوم (مكبث) بحياكة مؤامرة جديدة لقتل (بانكوو) ، لأنه من نسله سيعتلون العرش ويرثون السلطة ، لا أبناء (مكبث) وكما تنبأت (الساحرات) بذلك . فيقنع قاتلين للقيام بتلك المهمة بدعوى إن (بانكوو) قد اذلهما وكان سبباً في شقائهما واحتقارهما.

مكبث: كلاكما يعلم إن بانكوو كان عدوكما.

قاتل٢: صدقت، سيدي.

مكبث: وهو عدوي أيضا . وعلى مقربة دامية مني حتى لتطعنني كل دقيقة من كينونته في حشاشتي ص١١٣

يتم قتل (بانكوو) على يد القاتلان وفرار ابنه (فليانس) ، فيقع (مكبث) في دوامة الهذيان والتخبط والهستريا في مشهد الوليمة ، إذ يتراءى له شبح (بانكوو) وهو جالس في مقعده ، دلالة حية على جرائمه ورد فعل لها ، فاقداً توازنه وانتظامه . وهو خائف أيضاً من هروب ابن (بانكوو) ونجاته من القتل ، خوفاً من تحقق نبوءة (الساحرات).

القاتل: مولاي صاحب الجلالة ... فليانس هرب .

مكبث: إذن عادت نوبتي من جديد ... أما الآن ، فأني محشور ، محصور ، محتبس ، تكبلني لجوج المخاوف والشكوك ص١٢١

مكبث: لن تقدر أن تقول ، أنا الذي فعلتها . لا تهز لي بخصلاتك الدامية . ص١٢٣

مكبث: اذهب ! أغرب عن بصري ! فلتخفك الأرض ! عظامك لا نخاع فيها ، ودمك جامد. لا أدراك فيتينك العينين اللتين تحملق بهما ... ص١٢٥

وتتوالى أفعال (مكبث) الخاطئة وتتواصل جرائمه ، بعد أن تسلح برؤيا (الساحرات) الثلاث وتقوى بها والتي أزاحت كل مخاوفه وطردتها خارج منظومته النفسية والعقلية ، وقد عرف خصومه وعرف نقاط ضعفهم وقوتهم ، وعرف قوته. متجاوزاً دعم زوجته . فالحذر من (مكدف) الذي لا يسحب معه خوفاً. لان (مكبث) لا أحد يستطيع قهره أو إلحاق الأذى به إن كان ولدته أنثى. ومما زاد من صلابته وقوته ونشاطه ، انه لم يهزم ما لم تتحرك غابة (بيرنام) نحو تل (دنسينان)، حسب رؤيا (الساحرات). وهذه العلامات المستحيلة التحقيق والوجود في نظره ، زادت من جرأته وحزمه على الفعل الإرادي غير المعقلن ، ساخراً من قوى الإنسان ، ولا يبالي ولا يهتم بأحد، لأنه لا أحد يستطيع أن يغيضه أو يثير قلقه وخوفه بعد الآن أو يتآمر عليه ، بعد كان ضحية نوبات الهلوسة والهذيان والخوف ، وما رجوعه إلى (الساحرات) للاستفسار عن قدره وحظه ، إلا أشارة خوف وقلق وإرادة ضعيفة. وتصوراته هذه كلها أوهام لا وجود لها على ارض الواقع. فيرتبك (مكبث) من رؤية أشباح لثمانية ملوك مستيقناً إنهم أبناء (بانكوو) ، فيرتعد من هذه الرؤيا ، فيقرر قتل عائلة (مكدف) بعد هروبه .

مكبث: (جانبياً) أيها الزمن ، انك تستبق أفعالي الرهيبة. الغاية الحثيثة لا يلحق احد بها إذا ما الفعل رافقها. منذ اللحظة هذه ، سيكون أول خاطر في قلبي أول ما في يدي . وفي الساعة بالذات لكيما أتوج كل فكر لي بفعل ... . ص ١٤٤

مكدف: هه !حزرته !

روص: قلعتك فوجئت ، وزوجتك وأطفالك بوحشية ذبحوا ... .

ص ١٦١

يصاب (مكبث) بالضعف والفتور والتهالك بفقدان إرادة زوجته القوية ومساندتها له ، – حتى وإن تسلح برؤيا (الساحرات) الثلاث – وهي صائرة إلى الجنون بسبب ما ارتكبته من أفعال دموية ، إذ تصاب بالهذيان والهلوسة والأوهام والاضطراب العقلي وسيرها أثناء النوم ، فضلاً عن الحشود العسكرية الزاحفة نحو مملكته بقيادة (مالكولم) أبن الملك المقتول (دنكن). فهو خائف حذر متردد من الداخل ، يتقوى ظاهراً برؤيا (الساحرات) التي لا يمكن أن تتحقق لكي يلحق الأذى به. إذ يجمع شتات نفسه بعد أن فقد السند القوي له (زوجته) ، جامعاً قواه وإرادته ، رغم الفوضى والاضطراب وعدم التهيؤ للمعركة .

مكبث: لا تأتني بأي تقرير بعد . فليهربوا جميعا .إلى أن تنتقل بيرنام إلى دنسينان ، لن يخالجني الفزع ... . ص ١٧٠، ص ١٧١

وتعتري (مكبث) نزعة انهزامية واستسلام، يقابلها فورة وعنفوان وتحدي وقوة وإرادة

مكبث: ... يبتئس قلبي عندما أرى – سيتون ! – هذه الواقعة سوف تبهجني أبداً ، أو تطيح بي الآن ... . ص ١٧٢

مكبث: سأقاتل ، إلى أن يجرد لحمي عن عظمي. أعطني درعي

ص ١٧٢

كان لابد لهذه الفورة والعنفوان ، من أن تهفو وتضمحل وتنطفأ الإرادة بفعلها القوي الحاضر. فيشعر (مكبث) بالخوف بعد أن نسي طعمه وشكله وشعوره به، إذ هو يفزع لصراخ النسوة لموت زوجته – التي قتلت نفسها بإرادتها غير المعقلنة – . وهو الذي لم يخاف هول المعارك الضارية التي خاضها . وموتها كان ليس في وقته وهو في أصعب أوقاته. والصدمة الأخرى التي تلقاها لحظة سماعه خبر تحرك غابة (بيرنام) من خلال الجيش المتحرك والمختبىء فيها . وكأن القدر المصيري زاحفاً إليه.

مكبث: لقد كدت أنسى طعم المخاوف ... فيم كانت الصرخة تلك ؟

سيتون: الملكة ، يا مولاي ، لقد ماتت .

مكبث: لكان حرياً أن تموت فيما بعد : ولكان ثمة وقفة لكلمة كهذه . غداً ، وغداً ، وغداً ، وكل غد يزحف بهذا الخطى الحقيرة يوماً اثر يوم ، حتى المقطع الأخير من التزمن المكتوب ... . ص ١٧٦ ، ص ١٧٧

الرسول: فيما كنت أقوم بحراستي على التل ، أرسلت بصري إلى بيرنام ، وفي الحال خيل إليَ إن الغابة بدأت تتحرك .

مكبث: كذاب ، وعبد ! ص ١٧٨

يتشبث (مكبث) بإرادة واهنة واهية ، حتى وان تحركت غابة (بيرنام) ، مستنداً على الرؤيا الثانية التي لم تتحقق بعد ، انه لن يلحقه الأذى من رجل ولدته امرأة . فينتعش قليلاً ويقوى ويعتقد ويؤمن بذلك خلال قتله (سيوارد الأبن) أثناء المبارزة.

سيوارد: تكذب ، أيها الطاغية المقيت : وبسيفي سأبرهن على أكذوبتك.

مكبث: لقد ولدتك امرأة .– غير أن السيوف ابسم لها ، والسلاح أضحك منه هزءاً ، إذا اشهرها رجل هو وليد امرأة . ص ١٨٠، ص ١٨١

وهذه الابتسامة والسخرية لكل من يبارزه ، لكنها تصطدم مع (مكدف) الذي ولد قبل أوانه ، فأنتزع من بطن أمه . فيصعق (مكبث) وتخر عزيمته وإرادته تفتر وتضمحل وتذوب حتى التلاشي ، لحظة سماعة حقيقة ولادة (مكدف) .

مكبث: أنت تضيع جهدك أن كان بوسعك أن تقطع بسيفك الماضي هواءً لا يقطع... أما أنا فأحمل حياة مسحورة ، لن تستسلم لرجل ولدته امرأة .

مكدف: فلتيأس من سحرك ، ودع الملاك الذي رحت تخدمه يخبرك بأن مكدف من رحم أمه أنتزع قبل آوانه.

مكبث: ملعون ذلك اللسان الذي يخبرني بهذا ، لأنه زعزع العنصر الأسمى في كإنسان ... لن أقاتلك . ص١٨٣

يلفظ (مكبث) أنفاسه الأخيرة بإرادته المتلاشية ، أزاء إرادة (مكدف) أثناء المبارزة الأخيرة له .

مكدف: إذن سلم نفسك يا جبان ، وعش عرضة ومشهدة للعصر... .

مكبث: لن اسلم نفسي لأقبل الأرض أمام قدمي الصبي مالكوم ، وتقذفني الدهماء بلعناتها... فأني سأحاول المحاولة الأخيرة : قدام جسمي ها أنا أقذف ترسي الحربي : تهيأ ، مكدف ... . ص١٨٣ ، ص١٨٤

فيصرع (مكدف) (مكبث) لتتحقق نبوءة (الساحرات) بأنه يقتل على يد رجل لم يولد من قبل امرأة ، وتحرك غابة (بيرنام)، مثلما تحققت النبوءة باستلامه العرش والسلطة .

تحدد مصير البطل التراجيدي الشكسبيري وقدره وصراعه الداخلي ، من خلال حالات الجنون التي آلت إليه الشخصيات (هملت ، عطيل ، لير ، مكبث) . ومن خلال مصدات خارجية وقوى غيبية خارقة على شكل خرافة أو سحر أو نبوءة (شبح الملك) عند (هملت) و(الساحرات) عند (مكبث) . ومن خلال المصادفة (عطيل) ، وصراعه داخلياً مع النفس وهلوساته مع العقل وليس مع القدر الخارجي. تردد (هملت) في الثأر والانتقام. و(عطيل) والغيرة القاتلة والشك المميت للنفس والعقل . و (لير) والثقة العمياء بالآخر دون دراسة وروية وسوء تقدير وعدم وضع النظرة المستقبلية للإرادة والفعل. و(مكبث) والطموح المتجذر والدينامي العميق في الذات والرغبة والنزعة الصارمة والإرادة الجارفة نحو العظمة ورفض الضعف البشري، والمتغذية من شكلها القدري المنظوري في رؤيا (الساحرات) وتنبؤاتهن. فهم يعانون بقسوة وطوق الخناق يشتد ويضيق وصولاً إلى فهم عميق للحياة والإنسان والبشرية ، وإدراك للصفات الإنسانية ، وصولاً إلى الحكمة والتكامل عن طريق الجنون. إدراك وفهم شمولي للعالم والعلائقية التي تحكمه ، وهم صائرون إلى الموت والفناء بعد طول فترة تحملية لا تطاق .

الفصل الرابع
النتائج

(مسرحية هملت)

١. الإرادة عند شخصية (هملت) فاعلية ذاتية لخطأ إرادي دون اختيار.
٢. الإرادة عند شخصية (هملت) حاضرة رغم التردد والصراع العنيف على المستوى النفسي والعقلي .
٣. فقدان الاندفاع للقيام بالفعل الإرادي عند شخصية (هملت) بحضور الإرادة الآني ونزعة الاختيار من عدمه.
٤. تضعف الإرادة عند شخصية (هملت) وتتقهقر آنة تردده واضطرابه ، بسبب إنثيالات نفسية وإرهاصات عقلية بحضور النزعات المتضادة والمتناقضة.
٥. تتموضع الإرادة عند شخصية (هملت) اللحظوية والقيام بالفعل الإرادي دون تأمل توجيهات العقل .
٦. تتباين الإرادة عند شخصية (هملت) حضوراً وتمركزاً وقوةً ، وفقاً لنزعاته النفسية والعقلية الذاتية الضيقة .
٧. تتمظهر الإرادة عند شخصية (هملت) وفقاً لتحفيز العامل النفسي الذاتي ، متجاوزاً الظرف الخارجي والموضوعي .
٨. الإرادة عند شخصية (هملت) إرادة ليست حرة كلية ، تنبع من عندياته ، بل هي مفروضة عليه ، لاستنطاقها والقيام بفعلها ، دون قصدية مباشرة .
٩. تتصف الإرادة عند شخصية (هملت) باللحظوية والآنية ، وقوتها وضعفها يتبع الظرف النفسي والعقلي والظرف الذاتي والمحيط .
١٠. تقوى الإرادة عند شخصية (هملت) بغياب العقل وتوجيهاته ، وتوصف بأنها غير واعية وغير متوازنة. وتضعف وتضمحل لتبعات نفسية وعصبية وعقلية مرهقة. فهي تتأرجح بين نية الفعل وعبث الحياة.
١١. انعكست الإرادة وفعلها عند شخصية (هملت) على مصيره ونفسيته وسلوكياته ، فهو صائر بين التردد والعبث والحكمة والجنون والموت .

(مسرحية عطيل)

١. تتمظهر الإرادة الحرة عند شخصية (عطيل)

بحضورها المتمركز والقوي النابع من طبيعة الشخصية المتوازنة ، لا سيما في بداية المسرحية .
٢. تمتلك شخصية (عطيل) إرادة التحدي القوية والثابتة والصلبة ، النابعة بشعوره القوي بذاته
٣. تموضع الإرادة الذاتية الحرة عند شخصية (عطيل) لإثبات الذات كوجود وعلة وماهية .
٤. تمتلك شخصية (عطيل) إرادة حرة ذاتية في الاختيار أم عدمه مسترشدة بتوجيهات العقل.
٥. تضعف الإرادة عند شخصية (عطيل) من الداخل على الرغم من قوتها من الخارج ، لغياب أو ضعف توجيهات العقل ، لحظة بداية الشك بخيانة زوجته .
٦. تتحول الإرادة عند شخصية (عطيل) من القوة والاعتقاد وجرأة القرار والاختيار إلى إرادة مقيدة ومضطربة وغير متوازنة لفقدان التأمل العقلي. والتسرع في اتخاذ القرارات غير الصائبة .
٧. انهيار الإرادة عند شخصية (عطيل) تدريجياً ، لحظة اقتناعه كلياً بخيانة زوجته وغياب توجيهات العقل .
٨. الإرادة عند شخصية (عطيل) تتأثر بالظرف الخارجي والموضوعي ، لتنعكس على نفسيته وسلوكياته ومصيره .
٩. الانتقال في الفعل السلوكي عند شخصية (عطيل) من التوازن والانتظام إلى التردد والضعف وعدم التركيز وفقدان التوازن والنظام. مما انعكست على الإرادة وفعلها .
١٠. الإرادة النهائية عند شخصية (عطيل) حضرت بقوة وتمركزت وكما ظهرت في بداية المسرحية ، ذلك بقتل نفسه بإرادته الذاتية الحرة كتطهير لها.
١١. انعكست الإرادة وفعلها عند شخصية (عطيل) على مصيره ونفسيته وسلوكياته ، فهو صائر إلى الحيرة والارتباك والهذيان والصدمة والموت .

(مسرحية الملك لير)

١. اتجهت الإرادة وفعلها عند شخصية (لير) نحو الخير والعلم به .
٢. تمتلك شخصية (لير) إرادة ذاتية حرة مع إطلاق الثقة العمياء بالآخر.
٣. تتمظهر الإرادة الحرة الواعية عند شخصية (لير) في حمله الاختيار الحر في تنفيذ القرار من عدمه.
٤. تمتلك شخصية (لير) إرادة حرة في اختيار مطلق لقبول أو رفض توجيهات العقل ، وحرة في اختيار نزعاتها وتنفيذها.
٥. تضعف الإرادة عند شخصية (لير) لحظة اقتناعه بفقدان قوته وحريته وإرادته .
٦. تتضاءل الإرادة عند شخصية (لير) لحظة اصطدامه بالظرف الخارجي والموضوعي، واكتشافه ومعرفته خطأ فعله الإرادي .
٧. تغيب الإرادة عند شخصية (لير) وتضمحل وتتلاشى بغياب توجيهات العقل .
٨. تموت الإرادة عند شخصية (لير) نهائياً واستلامها لقدرها الذي وضعت نفسها فيه .
٩. أطاحت الإرادة وفعلها بمصير شخصية (لير) وإرادته الاعتقادية بطيبته المتجهة إلى الخير، معتقداً أن الآخر متجه هو أيضاً إلى ذلك. فإرادته تتبع ثقته الزائدة والعمياء تجاه الآخر والمجتمع .
١٠. انعكست الإرادة وفعلها عند شخصية (لير) على مصيره ونفسيته وسلوكياته ، فهو صائر إلى الذهول والصدمة والتشرد والسيح اللامكاني والهذيان وفقدان الهوية والوجود والقوة والتوهان ومن الحكمة والجنون تطهيراً للنفس .

(مسرحية مكبث)

١. تتجه الإرادة عند شخصية (مكبث) نحو الشر مع معرفته به وقائماً عليه مع توافر الظرف المرافق له والذي يدفعه إليه .
٢. تنبع الإرادة عند شخصية (مكبث) من ظرف وموضوع خارجي متمثلة بنبوءة (الساحرات) .
٣. الإرادة عند شخصية (مكبث) إرادة مترددة يحركها الظرف الخارجي والعامل الموضوعي ويوجهها .
٤. تضعف الإرادة وفعلها عند شخصية (مكبث) لحظة تمظهر فعل الخير نتيجة التأمل العقلي والتفكر بالفشل وعدم النجاح في الوصول إلى هدف الإرادة.
٥. تتأرجح الإرادة وفعلها عند شخصية (مكبث) بين الإقدام والإحجام ، وفق توافر الظرف أو الحكم الواصل لظرف ما نحو الأقدام أو ألإحجام.
٦. تنشطر الإرادة عند شخصية (مكبث) باتجاهين، سلبي تحقيق الهدف غير المشروع ، وايجابي لحظة

التردد في القيام بالفعل الإرادي لتوجهات العقل والمنطق.

٧. تنشط الإرادة وفعلها عند شخصية (مكبث) بفعل دافع خارجي متعين (الزوجة) وتحريضها. ودافع غير متعين نبوءة (الساحرات) .

٨. لا تمتلك شخصية (مكبث) إرادة ذاتية حرة خالصة ، بل هي طيعة منقادة لإرادة ذاتية أخرى (الزوجة) والهدف غير المشروع. فهي إرادة متصيرة متماهية مع ذات أخرى .

٩. تتصف الإرادة وفعلها عند شخصية (مكبث) بأنها مترددة وغير ثابتة ، بل هي مدفوعة وغير خاضعة للعقل ولا تسلم بتوجيهاته وتأمله .

١٠. عدم حمل الإرادة وفعلها عند شخصية (مكبث) توجيهات العقل وتأملاته ، فهي إرادة غير معقلنة ، ترتكب اخطاءاً دموية عابثة ومتتالية .

١١. تمتلك شخصية (مكبث) إرادة اعتقاد بأن العرش والسلطة من نصيبها وفقاً لنبوءة (الساحرات) ولاشيء يعرقل هذه الإرادة في تنفيذ أهدافها وغاياتها .

١٢. تنهار الإرادة وفعلها عند شخصية (مكبث) بغياب الدافع المتعين ، وتحقق الوجه الآخر من الدافع اللامتعين المتعلق برؤيا (الساحرات) بقتله على يد رجل لم تلده امرأة.

١٣. انعكست الإرادة وفعلها عند شخصية (مكبث) على مصيره ونفسيته وسلوكياته ، فهو صائر إلى الوحدة والنبذ والاحتقار والهلاك والجنون والموت. كنتيجة حتمية للطموح الزائد غير المعقلن وغير المشروع .

نتائج مشتركة:

١. حملت شخصيات (شكسبير) التراجيدية أكثر من إرادة ، وفقاً لصراعها النفسي الداخلي وظرفها مع الآخر والمحيط .

٢. يتمظهر نوع الإرادة وفعلها عند شخصيات (شكسبير) التراجيدية ، وفقاً للحدث والصراع وخلفية الشخصيات ومرجعياتها بتمفصلاتها كافة .

٣. أتاحت الإرادة وفعلها عند شخصيات (شكسبير) التراجيدية فرصة التعلم والفهم وإدراك الآخر والحياة والعالم وعلائقيتها بشمولية وإدراك المعاناة الإنسانية وتحملها ، وصولاً إلى ذلك النوع من الفهم .

٤. الحكمة والجنون والقتل والموت ، هو مصير شخصيات (شكسبير) التراجيدية . وهو الفعل المنعكس لفعل الإرادة على سلوكياتها وتصرفاتها ونفسيتها تطهيراً لها من جهة، وإعادة للطبيعة نظامها السوي من جهة أخرى .

المصادر والمراجع:-

١. ابن منظور. لسان العرب . المجلد٤. القاهرة : دار الحديث ، ٢٠٠٣.

٢. الشربيني (لطفي) . موسوعة شرح المصطلحات النفسية ط١. بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ٢٠٠١.

٣. التهانوي (محمد علي الفاروقي) . كشاف اصطلاحات الفنون . ج٣. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢.

٤. صليبا (جميل).المعجم الفلسفي. ج١. ط١. قم : منشورات ذوي القربى ، ١٣٨٥هـ .

٥. الحنفي (أبي الحسن علي بن محمد بن الحسيني الجرجاني) . التعريفات . ط٢ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣.

٦. روزنتال(م) ويودين(ب) . الموسوعة الفلسفية . ط٥. ت : سمير كرم . بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

٧. لالاند (أندريه) . موسوعة لالاند الفلسفية . ط٢. بيروت . باريس : منشورات عويدات ، ٢٠٠١.

٨. غربال (محمد شفيق) وآخرون . الموسوعة العربية الميسرة . بيروت : دار نهضة لبنان للطبع والنشر، ١٩٨٧.

٩. صليبا (جميل) . علم النفس . ط٣. بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٤.

١٠. القذافي (رمضان محمد) . علم النفس في الإسلام . ط١. ج٢. بنغازي : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ١٩٩٩.

١١. داكو (بيير) . الإرادة وفن الحياة . ت : رعد اسكندر وأركان بيثون . بغداد : دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٨.

١٢. بدوي (عبد الرحمن) . شوبنهور. ط٣. القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٥.

١٣. كامل (فؤاد) . الفرد في فلسفة شوبنهور. القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٣.
١٤. ابن رشد . تهافت التهافت . ط٢. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠١.
١٥. بدوي (عبد الرحمن) . موسوعة الفلسفة . ط١. ج٣. قم : منشورات ذوي القربى ، ١٤٢٧ هـ .
١٦. كرم (يوسف) . تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط . ط١. القاهرة : دار الكاتب المصري ، ١٩٤٦.
١٧. بدوي (عبد الرحمن) . فلسفة العصور الوسطى . ط٣. الكويت. بيروت : وكالة المطبوعات. دار القلم ، ١٩٧٩.
١٨. الحفني (عبد المنعم) . موسوعة الفلسفة والفلاسفة . ط٢. ج١. ج٢. القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩٩.
١٩. سيرل (جون ر) . العقل. ت: ميشيل حنا متياس. الكويت : مطابع المجموعة الدولية ، ٢٠٠٧.
٢٠. جلسون (أتين) . روح الفلسفة المسيحية في العصر والوسيط . ط٣. ت : إمام عبد الفتاح إمام . القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩٦.
٢١. عباس (فيصل) . الإنسان المعاصر في التحليل النفسي الفرويدي . ط١. بيروت : دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، ٢٠٠٤.
٢٢. يوسف (حسن). فلسفة الأمل. القاهرة: مكتبة دار الكلمة، ٢٠٠٣.
٢٣. الكحلاني (حسن). الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر. ط١. القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٤.
٢٤. مارتن (بول) . العقل المريض . ط١ . بيروت : الدار العربية للعلوم ، ٢٠٠٠ .
٢٥. بدوي (عبد الرحمن) . شلنج . ط٢. بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١.
٢٦. الشاروني (حبيب). فلسفة مين دي ميران . المغرب : دار النشر المغربية ، ١٩٨٢.
٢٧. حماد (حسن) . الخلاص بالفن(التراجيديا انموذجاً) . القاهرة : مكتبة دار الكلمة ، ٢٠٠١.
٢٨. أنيكست (أ) . تاريخ دراسة الدراما . ت : ضيف الله مراد . دمشق : مكتبة الأسد ، ٢٠٠٠.
٢٩. شكسبير (وليم) . مسرحية هاملت . ت : جبرا إبراهيم جبرا . بغداد : دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٦.
٣٠. ..... . مسرحية عطيل . ت : جبرا إبراهيم جبرا . بغداد : دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٦.
٣١. ..... . مسرحية الملك لير. ت : جبرا إبراهيم جبرا . بغداد : دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٦.
٣٢. ..... . مسرحية مكبث . ت : جبرا إبراهيم جبرا . الكويت : وزارة الإعلام ، ١٩٨٠.